



بلاد الحب والخير

بسم: عبد الرزاق البصير

في تقديري ان افضل انظمة الحكم ، هو ذلك النظام الذي يشيع الحب بين مواطنيه والوافدين عليه ، ومن الواضح ان الحب لا يشيع في مجتمع من المجتمعات الا اذا كان نظام الحكم فيه يعتمد على نشر الخير والعدل بين الناس . واذا استطاع ان ينشر الخير في غير الوطن الذي يحكمه ، فان ذلك يعد نعمة من نعم الله التي لا يظفر بها الا القليل من الانظمة . وقد شاء الله ان يكون نظام الحكم في الكويت متصفا بهذه الصفات التي اشرنا اليها قبل قليل ، اتصف بهذه الصفات منذ مبدأ نشأته ، فان المؤرخين يجمعون على ان بداية الحكم تأسس على اختيار الشعب لحاكمه صباح الاول بعد ان اشترطوا عليه اقامة العدل وعدم الاستبداد في الرأي فعاهدهم على ذلك . واذا كان الحكم قد نشأ على اساس الاختيار فان من شأنه ان يكون الناس راضين عنه مطمئنين اليه ، ولم يكن هذا الاطمئنان والرضا مقصورين على من في الكويت من الناس ، وانما اخذ ينسبط على من كان حولها من البلاد القريبة منها والبعيدة ، فالتاريخ يحدثنا ان البحرين لما ضاقت على بعض التجار بسبب ما يجري فيها من معارك قبل اكثر من قرنين ، قرروا الهجرة الى الكويت ونقل محلاتهم التجارية اليها تأمينها من التلف

فرحب بهم الكويتيون وفسحوا لهم المجال في البلد . وقصة لجوء مصطفى آغا الى الكويت ، واصرار والي بغداد على تسليمه له من قبل الشيخ عبد الله الصباح الحاكم الثاني للكويت ورفضه لهذا الطلب بقوله « بان العربي لا يخذل من يستجير به » .

هذا الحدث وامثاله يعزز ما ذكرناه من ان الاطمئنان بالكويت لا يقتصر على مواطنيها ، واغما يمتد الى من حولها من البلاد ، فهم يعرفون حق المعرفة بان هذا البلد مستقر يؤمن بالمبادئ السامية ، وهو مستعد بان يقف مدافعا عنها مهما كلفته هذه المواقف من ثمن . واذا تأملنا ما اشرنا اليه من قبل ، من ان الحكم منذ نشأت الكويت حتى عصرنا الحاضر ، يمقت الظلم اشد المقت ، مما يجعل الناس هنا من مواطنين ومقيمين يشعرون بالامان والراحة .

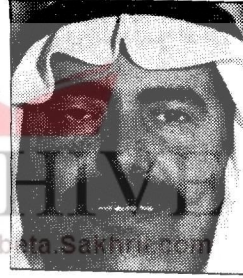
اما مواقفه العربية فانها متعددة يضيق هذا المجال عن التحدث عنها . وهي معروفة لدى الجميع ، وهذا يفسر لنا هذا التجاوب القوي من المواطنين والمقيمين حينما اعلنت الحكومة بانها ستحتفل بالعيد الوطني احتفالا يليق بمرور خمس وعشرين سنة على الاستقلال ، اندفع الناس صغيرا وكبيرا يعبرون عن حبهم وتعلقهم بهذه الارض الطيبة التي كان دأبها السعي لنشر الخير والامان للجميع ، ولقد مرت عدة اعوام دون ان تحتفل الكويت بعيدها الوطني نظرا لما تشهده الامة العربية من احداث مؤلمة ، ولا شك ان المسؤولين هنا قد ادركوا تشوق من في الكويت الى التعبير عن تقديرهم وحبهم لهذا البلد الخير ، فأعلنت عن هذا الاحتفال بالعيد الوطني ، فها هي الا ان اندفع الناس اندفاعا عفويا كما يندفع الضوء من القمر والنور من الشمس ، وليس هذا الا نتيجة لما جبل عليه نظام الحكم في الكويت منذ تأسيسها حتى الان من معاملة عظوف تجذب المواطنين والمقيمين اليه .

وليس في ما ألمحت اليه أي تجاوز للحقيقة ، والدليل على ذلك انك لا تكاد تذهب الى اي بلد من البلدان شرقية كانت او غربية ، ويعرف الناس عنك بانك من اهل هذا البلد الا وتجد اللسنة تلهج بالثناء عليه ، وليس يبعد عن الصواب من يعتقد بان سلاح الحب اقوى من اي سلاح ، فانك حين تضع امضى سلاح في ايدي من لا

يتمسك بأرضه ، لا يستطيع ان يدافع عنه ، ذلك ان الخوف يضعف نفوس اصحابه فيجعلهم غير قادرين على استعمال السلاح كما يجب ، اما النفوس الممتلئة بحب اوطانها فانها تستعذب الموت في سبيله معتقدة والحق معها ان الموت شهادة وان الحياة رخيصة بالنسبة للوطن الذي يحترم حقوق انسانيته . ويتمثل احترام حقوق الانسان بمحاربة جهله ، وعلاج امراضه ومحاربة فقره ، وهذا ما درج عليه تاريخ الكويت حسب الامكانيات المتوفرة له ، حيث نجد التعليم وعلاج المرض وافساح المجال للعمل يتمشى مع نمو الحياة في هذه الارض ، وحينما درّت أخلاف هذه الارض بلبنتها الطيب ، اتسعت محاربة الجهل والفقر والمرض ، فكانت كل هذه الارقان الثلاثة في تسارع عجيب . حيث نجد المدارس والمعاهد والمستشفيات وابواب العمل مفتوحة للجميع ، ومن الواضح ان كل هذا يملأ قلوب الناس الخيرين بالمحبة والتقدير للكويت ، ويحسن بنا ان نشير الى ان معنى هذا ان الكويت تسير بخطى سريعة الى الحضارة التي يتسم بها هذا العصر . فان قانون التعليم الالزامي وقانون العمل والنظام الصحي هي الارقان التي تعتمد عليها حضارة هذا العصر ، فانت اذا اردت ان تصف اي دولة من الدول بوصف التقدير والاحترام فانه لا بد لك ان تثبت بان مسيرة حياتها تعتمد على هذه الارقان الثلاثة ونعني بها محاربة الجهل والفقر والمرض ، ويأتي امر آخر هو الذي يجعل هذه الارقان الثلاثة تسير بخطى ثابتة ونعني به نظام الحكم الديمقراطي ، وقد ذكرنا في اول هذه الكلمة ان نظام الحكم في هذا البلد قد تأسس على الاختيار واستمر هذا النهج في جميع ادوار تاريخ الكويت ، مما جعل الشعب العربي في الكويت يتجه دائما الى اخذ الامور بالتفاهم مبتعدا دائما عن اصطناع العنف والقسوة ، ولا يتسع المجال للحديث بالتفصيل عن ما يترتب على هذه الصفات التي اشرنا اليها فلنكتف بان نختم القول ، بان التعلق بهذا البلد لا يقتصر التعبير عنه برفع علم الدولة او التزيين به وانما التعبير الصحيح يتمثل في ان يكون عمل الفرد معززا لوحدة الوطن ، فكل عمل يخل بالامن او يشيع التفرقة بين المواطنين او المقيمين يتعارض مع الانتفاء والحب لهذا البلد ولا يكتمل سلوك اي فرد من مقيم او مواطن الا اذا انطلق من ان الكويت جزء من الوطن العربي وان شعبها جزء من الامة العربية .

صلى التاريخ

صور عنائىة بمناسبة مرور
ربىع فترن على الاستقلال
دولة الكويت



يا صدى التاريخ من كاظمة
رجع الايام من اولها
يا صدى التاريخ من كاظمة
تقف الدنيا جلالا عندما
عادت الذكرى فكن انت المغني
واعد ركب المنى حيث التمني
عد الى الدنيا كقيثار المغني
يوقف الايام تاريخ يغني

يا حادي الزمن
في كل اغنية
اعد حديث الليالي
وافتح كتاب بلادي
رجع صدى وطني
مغزولة الشجن
وذكريات النضال
يا صدى الزمن

المدوم

انتهت ليلة الرحيل الطويله	قالت الريح للغيوم الثقيله
كطيوف المنى بقلب الجميله	قد وصلنا الى بلاد ستأتي
تربة انضجتها شمس الحضاره	ها هنا بين كاظمه وجبال واره
امطري . . امطري يا غيوم المحبه	ها هنا فوق ارض الاحبه
وستنمو على الارض ارض جديده	ها هنا سوف تأتي بلاد جديده

أغنية الهوادج

يا سائقي ذي الهوادج	على طريق السلامه
لقد وصلنا لارض	فيها تطيب الاقامه
هذي مغانيها	يا حسنها من مغاني
نهر المنى فيها	يروى زهور الاماني
من يغرس الحب يلقي	ثمارة يانعات
من عنده الصبر يرقى	الى ذرى عاليات
انا سنسقيها	حبا لتسقيننا
انا سنعطيه	خيلا لتعطينا



بداية غناء الطوائف

اينعت وردة المنى في غناء الطوائف
لحظة ترفع الدثا فوق اسس المواقف
في غناء الطوائف

نشيد البنائين

هيا هيا هلمما هلمما
هلمما لبنه طاول طاول
تبني سواعدنا هيا هيا هلمما
دار ستسعدنا هلمما لبنه طاول
والارض تشدنا هيا هيا هلمما
لحنا سيسعدنا هلمما لبنه طاول
هيا هيا هلمما^(١)

هلمما لبنه طاول

الا يا بلاد الخير انا على العهد
اتيناك مثل البرق في راجف الرعد
اتيناك مثل الغيث نحمي مرابعنا

لنبني بلاداً فوقها طالع السعد
هيا هيا هلمما
هلمما لبنة طاول
فاقت مطالبنا هيا هيا هلمما
عصراً يحاربنا هلمما لبنة طاول
غنّت مواكبنا هيا هيا هلمما
فاقت مطالبنا هلمما لبنة طاول
هيا هيا هلمما
هلمما لبنة طاول
اقمنا على سيف الكويت منازل
احاط بها سور كما الجيد والعقد
لنا في ربى الجهراء قصر محصن
لنا فتح التاريخ بوابنة الزم
هيا هيا هلمما
هلمما لبنة طاول

اللوحة السادسة

نشيد الحداثة

نحن الحداثة نحن الحداثة
عزم واراده والرب معين
انفخ يا عبيد الله ويا حي^(٢)

انفخ انفخ الله وياحي
الارض عظيمه بالرزق كريمه
صبر وعزيمه والصلب يلين
انفخ يا عبيد الله وياحي
انفخ انفخ الله وياحي

اللوحة السابعة

طق يا مطر طق

امطري يا غيوم المحبه فوق ارض الكويت السعيده
امطري امطري

امطري ليصبح الوطن انشودة القلب والشفاه
امطري وتقهر الزمن ارادة الشعوب والحياه
امطري يا غيوم المحبه امطري امطري
كويت يا كويت يا وردة الصحراء والبحار
كويت يا كويت يا رحلة الانسان للنهار
كويت يا كويت يا ضحكة الاقدار للبشر
كويت يا كويت يا فرحة الربيع بالمطر
امطري يا غيوم المحبه امطري امطري

دعوة حب

كان اصل الكويت دعوة حب	اينعت حولها قلوب نديه
كان حكامها بنيتها فأضحى	شعبها حاكماً وكان الرعيه
زادها صهرها وعزة شعب	يتسامى الى ذرى عربيه
حولها الخالدان بحر عميق	كالليالي تختار فيه البريه
وصحاري تغني النجوم عليها	وهي تمضي في الرحلة السرمديه
واقع كالحياة صعب ولكن	تصنع الارض لحظة قدره

الربيع

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

مثلاً ينشر الربيع ورده	بدأت خطوة الكويت الجديده
رسمتها في غرة الشمس وشما	رغبة للحياة تمضي اكيده
سفينة للمنى	نهامها الانجم
تجري ببحر السنا	لشاطيء يحلم
عندما كانت الكويت بيوتا	غافيات في حضن سور حنون
كان ابناءؤها يغنون صوتا	عربينا يهز ليل السكون



بلاد النور

الا يا بلاد النور انا على العهد
نذرنا لك الاشراق من سالف العهد
فتحنا لك الافاق يا حلوة السنا
عليها ينام النجم من رحلة السهد
فغنى لاشواق الحياة فرميا
تلاقين في افاقها نجمة السعد
فكان رجع الصدى صوتا يلف المدى
لابد يوما ... تكونين

غنى نشيد الفدا تأتين رغم العدا
محمولة بالعيون

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

المغازل

مغازل الخير دوري مغازل الخير دوري
هاتي خيوط السنا ثم اغزليها لنا
افقا لغيم المحبه على كويت الاحبه
فالحب اسمى المعاني والصبر جسر الاماني
لكل شعب زمان والان هذا زماني

مغازل الخير دوري مغازل الخير دوري
هاتي طيوف المنى ولونيها هنا
فنحن والنور صحبه من ارضنا شق دربه
ثم اغزلي في البدايه لنا شرعا ورايه
فالجب ما سار يوما الا لاشرف غايه

اللوحة الثانية عشرة

القلاليف

اذا اردت الحقائق عن دورنا في المدينه
فاسمع حديث المطارق تحكي حياة السفينه
كلما دشنوا سفينا على السيف
فاذكرونا نحن نحن القلالييف
من قديم الزمن ما عرفنا الوهن
كم خدمنا الوطن في بناء السفن

اللوحة الثالثة عشرة

انخمته

الحمد لله عظيم الشان قد فرض العلم على الانسان^(٣)
عليه تبني عزة الاوطان
الحمد لله جزيل الفضل لما حانا من ظلام الجهل
فالعلم نور زينة العقل

هذي بلاد تطلب المعالي تسابق الايام والليالي
لتي يصير الشعب للكمال
ونحن ابناء الكويت الرائدة اجيلنا بكل خير واعده
ونحن ابناء الكويت الرائدة طريقنا نحو المعالي صاعده

اللوحة الرابعة عشرة

نشيد الصيادين

ونحن الصيادون للرزق كادحون
وبحرنا كريم ونحن صابرون
اسيافنا كثيره خيراتها وفيه
بسعيننا جديره والناس قانعون

اللوحة الخامسة عشرة

كاسيروه دله

كاسيروه دله^(٤) اربع انات مله
هتوا الشعب كله عندما لم شمله
في بلاد هواها صار للحر مله
كاسيروه دله اربع انات مله
يا شبابا ينادي يا بلادي بلادي
رايتي سوف تعلقو عاليا كالايله
كاسيروه دله

اللوحة السادسة عشرة

نشيد البحارة

نحن اهل البحر	عنوان	النضال
من صدى اليامال	دوختنا	الليالي
حملتنا	في	اشرعة
نسجت من كل	اشواق	الرجال
وقهرنا البحر	في	صاربة
رفعت كالطود في	وجه	المحال
في الغوص كان نضالي	اسطورة	لنضال
وكان خطو رجالي	وشما	لدرب المعالي
علت سفائننا	جذلي	تطوف الدنا
يقودها فتية	لهم	تغني الاعالي
في الغوص او في السفر	كانت	حكايا الظفر
تهدى ضياء القمر	لمبحر	في الليالي

اللوحة السابعة عشرة

حقق الله

حقق الله حلمها بالرخاء	حين فاضت اعماقها بالشراء
وهبتها الحياة لحن المعالي	فتبارت انحائها بالغناء
فكأن الصحراء غارت من البحر	عليها فأجزلت بالعطاء

فامطرت غيمة الرجاء واينعت سدره البناء
واهتز نهامها يغني لرحلة الارض لبقاء

اللوحة الثامنة عشرة

ختم غناء الطوائف

هكذا كان شعبها من جميع الطوائف
جعلوها شعارهم في جميع المواقف
حفظ الود شعبها خليج يحبها
حين حيا وفودها بعميق العواطف



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

الهوامش :

- (١) هيا هيا هلمنا ... الخ ، اهزوجة من الموروث الغنائي الشعبي عند البنائين وتعني الحث على العمل والنشاط فيه .
- (٢) انفخ يا عبيد ... الخ من الموروث الغنائي الشعبي عند الحدادة ، وهو حث لنافخ الكير على العمل .
- (٣) مستوحاة من (ختمة القرآن الكريم) وهي انشودة شعبية تقال في احتفال شعبي يمر خلاله الطالب الذي ختم القرآن على الاسواق والبيوت مع مجموعة من زملائه وقد البسوه ملابس الرجال (العباءة والعقال) وقلدوه سيفاً .
- (٤) كاسيروه دله .. الخ من اغاني الشباب في القديم احتفالاً بقدوم العيد وعادة تكون في اليوم السابق لعيد رمضان .

يوم متميز



أرشيف اللغة العربية

<http://Archivebeta.Sakhril.com>



خمسة وعشرون عاما ، ما اقلها واكثرها ، تحمل في داخلها محطات احداث تقيم امام الناظر المتوسم اعمدة معاني عميقة وضاربة في الارض بجذور ثابتة ومرتفعة في فضاء يتسع صدرا لكل قادم ، ان لحظة الاستقلال تمثل في حياة الشعوب حاجزا اخيرا تقفز عليه فاذا هي تحت وهج الحرية التي تهتف لها وتتمثلها قولاً وعملاً وشعوراً .

ها نحن نستحضر هذا الماضي القريب ، نستعيد بداية هذا الربع قرن الذي يمثل لنا شيئا كبيرا ادراكه يحتاج الى سياحة روحية ومادية تساوي سنامه الممتد في افق مشع ، لهذا فللقلب ان يفرح فهذا حقه حين يرى بقعة ضوء باقية تتوهج فتشع فينعكس في الاعماق شعور ما اقربه الى احساس ام في لحظة اطل فيها عليها ابنها

حاملا شباب الخامسة والعشرين وقد تفجرت فيه دماء الشباب واول الرجولة ، وراحت هذه الام تستعيد لحظة انفتاح عينيه لاول مرة على هذه الدنيا - ان مدى فرحها في حيز الافراح يتسع ويمتد ، فكتلة اللحم الاولى تشكلت واستوت بعرقها وسهرها وشقائها الى هامة شاخة تناطح كل سامق ، ويمثل هذا الشعور نحس ونحن نحتفل بعيد استقلالنا .

التميّز . . . لماذا ؟

نقول انه يوم متميز ، وهذا التميز لا يحتاج الى شرح له عندنا ، فيوم الوطن لا يستدعي اي تساؤل او تعليل ، ولكن خداع المسميات يدعونا الى تأكيد هذا التميز واثباته حتى يصبح يوم وطننا الكويت يوما حقيقيا مدركة أبعاده وليس عيدا شكليا ترفع فيه اللافتات وتبهر العيون بالانوار وتردد اغاني المناسبات فقط . نحن نعرف انه ليس على الارض، ارض البسيطة، من دولة الا ولها علم ودستور وخطوط جوية ورئيس او حاكم ومقعد في هيئة الامم ويكتمل ديكورها بيوم وطني . من هنا يصبح التساؤل عن تميز يومنا مشروعا بل واجبا ، فالقول انه مختلف عما في العالم الثالث بوجه اخص دعوى تحتاج الى اثبات والا كانت قولاً مجانيا لا يستند الا على ما تطلقه الاشداق . .

من السهل ان نعدد انجازات مادية ، ونحسب شبكات الطرق بالكيلوات والامتار ، ونحدث عن الجسور وارتفاع العمارات الشاهقة بل وتراكم اعداد المتعلمين ، وتمتد قائمة الانجازات فتطول حتى تصبح ارقاما متراكبة . ولكن هل هذا هو الذي يميز هذا اليوم ، او انه يمثل هذا فقط ؟ . . ماذا لو لم يكن لنا هذا اليوم بمعناه وظروفه ؟ هل كانت الحياة ستتوقف أو أن مثل هذه الاشياء لن تتحقق ، او عل الاقل يتحقق شيء منها ؟ . وقد يكون هذا اليوم وتتحقق هذه كلها فهل هذا وحده كاف كي نقول انه يوم متميز ؟

لقد شهد العالم دولا مستعمرة ومع ذلك فتحت فيها المدارس وعبدت بها الطرق وتنامت خطوات البناء ، وشهد ايضا دولا اخرى قامت واستقلت وارتفع علمها

وقطعت اشواطاً في النمو ، وحققت بمقياس الحسبة المادية البحتة ما لم تحققه دول اخرى ، ولكنها مع هذا التطور لم تعرف معنى الاستقلال الحقيقي حين تحكمت فيها الديكتاتورية ففرغ الاستقلال من محتواه فهل نجد كلمة عاقلة تفهم وتستقرىء مجريات التاريخ الانساني يمكن ان تمجد الاستعمار او ترحب بالديكتاتورية ؟ . .

الانسان والمادة

اذن فمقياس نظرتنا لهذا اليوم وللخمسة والعشرين عاما الماضية يجب ان يركن الى امور اذق واشمل واكثر تعبيراً عن معنى (الاستقلال) والذي لا يتحقق الا حينما يكون مرادفاً لمفهوم الحرية في اطارها المتسع الارزاء ، ومن ثم فالنظرة تتجه بوضوح الى توحد هذين المفهومين في بنائنا للانسان والمادة ، فهذا التوحد هو الذي يقدم المعنى الحقيقي لما تساويه هذه المناسبة في نفوسنا ، والتي يتمثل اجلالها ليس بطبول قد تطرب ولكن طربها سيتوقف عند الاذن في لحظة السماع ، او بأصواء تبهر العين بانكساراتها ولكنها لن تنفذ وتستقر في النفس الا اذا اقيمت على رؤية صافية عميقة لمعنى الوطن الحر المستقل بالمفهوم الشامل للحرية والاستقلال الذي يترأى امام العقلاء فيتسمون جذلاً ابتساماً رضى عن وضع صنعوه فاستوى كاملاً غير منقوص ، ورأوه معنى كبيراً يساوي الفرحة العميقة المطمئنة والراسخة . عندئذ نجد ان شيئاً عظيماً قد تشكل في ربع قرن ، فما هو هذا الشيء يا ترى ؟ . .

ليس هناك جواب او اجوبة جاهزة ومحددة تساوي او تعادل معنى الاستقلال فالافق المتسع والمتعدد يحوي اكثر من منظور ، وسحابة الغيث المعطاء تشيع ظلاً وتترك خيراً لا حد له ، وكل يرى بعينه هو ويلمس بيديه ويقلب الامر بعقله فيحدد جزءاً او بعضاً او كلا . . ومن هذه النظرات تتشكل هذه الاجوبة .

نستطيع القول باطمئنان - حاشا الغرور - ان حمداً كثيراً نالته كويتنا ونستطيع المتابعة فنقول ان هذا الحمد لم يصدر من مكان واحد او يتبناه فكر معين مما يشير الى تعدد المشارب واختفاء الغرض او الى نصوع الحقيقة وفي المقابل تناقص الدم الى الحد

الذي لا نطمح فيه الى الاقل ، فطبيعة الحياة ان يكون فيها الضدان ، ولكن الحمد الذي نالته الكويت منذ استقلالها من الوضوح والضخامة والظهور ما يشير الى معان لا تخفى على العين المنصفة . وهو تقدير واجلال ، يقابله ما يشعر به اهل الكويت من رضى وفرح واعتزاز وقد نطق لسان حالهم اكثر من لسانهم الناطق .

وليس مرد هذا الى توهمات واحلام ، ولكن دعونا نحتكم الى الملموس المادي فتكون الدلالة أدق وأشمل على المعنى الذي حمله الاستقلال فأصبح بعد ذلك شيئا جديرا بالوقوف والتمجيد ، ومن ثم كان يوما وعيدا للوطن نحتفل به كل عام .

حرية الوطن وحرية الانسان

من المؤكد ان اول شيء ، او مرادف يرد الى الذهن ان الاستقلال يساوي الحرية ، او هو بوابة الحرية . ولكن هذا المعنى قد لا يكون حقيقيا حينما نحتكم الى الواقع ، فهذا المعنى الكامن قد لا يتنافس وما اكثر البلدان التي حظيت بالاستقلال ولكن الحرية في داخلها مكبلة ، فكان هذا تفريغا لمعنى الاستقلال وبل واصبح مدخلا لالغائه مرة اخرى . . وبداهة ان هناك دولا مستعمرة ولكن يترك لها هامش حرية مظلمة ، ولا يستطيع احد ان يزعم ان هذا البلد يملك الحرية وهو مكبل . .

من هذا المنطلق وحده نستطيع القول ان الكويت قد استطاعت ان توحد المعنى وتجعله شيئا واحدا ، فالحرية رديفة للاستقلال ، اولنقل ان السعي ظل مستمرا كي يتوحدا ، فلا معنى لان تكون الدولة مستقلة والفرد مستعبد والحرية في داخلها مفقودة ، وبداهة ان الحرية لن تكون في بلد لم يكن مستقلا .

من هذه المعادلة البسيطة والعزيزة المنال يأتي تميز هذا اليوم ، لقد كان عام ١٩٦١ بداية لعهد جديد حاول ان يوحد بين حرية الوطن وحرية الانسان في داخله ، وقد انتقل من شيء من الاستقلال وبعض من الحرية الى لب هذا الجانب المضيء الذي ولد في ذلك اليوم وترعرع فيما عقبه من ايام .

ولان الحرية ليست كلمة ولكن متطلبات تقتضيها الممارسة فكان من الواجب ان يواكب هذا المولود كل الشهادات اللازمة ، فكان الدستور ومن ثم تكونت المؤسسات التي تؤكد ممارسة هذه الحرية ممارسة مقبولة ، ومن ثم تعاقبت سنوات متآزرة في طريق الديمقراطية . . .

هذا ما نقوله مؤكدين بفخر يزيد من اعتزازنا بهذه المناسبة ، ولكن من المؤكد ان ما نقوله وما نمارسه شيء وما يراه الآخرون او يلمسونه قد يكون عندهم شيئا آخر ، فالتسمية والمناسبات تتكرر وتحمل الاسماء المتشابهة ولكن من قال انها تقدم المفهوم الواحد او حتى المتقارب . ومن ثم فمن حق التشكك ان يطل شكه من عينيه ، فالممارسات القتالة في هذا العالم جعلت التصديق صعبا بل وغير محتمل ، فالشك مقدم على اليقين ، وسوء الظن فطنة ، وتجاوز السطوح الى ما ورائها طريق مسلم به عند من خبر مظاهر الخداع المتلونة بكل الوان وبهرجة الزينات .

اذا كان مثل هذا الشك حقا فان الاحتكام الى الملموس المحسوس هو اذق واقرّب الى الصواب من اي شيء آخر ، والاستشهاد بالوقائع قد يكون اكثر اقناعا ومن ثم نستطيع ان نرفع علم وطننا مشرفا ومنسوجا من شهادات وحمد الآخرين ، وسيكون هذا العلم هو الوسام الاكبر الذي نضعه على صدر هذه الخمسة والعشرين عاما التي نحتفل بها . . .

ما نقوله الوقائع . .

قلنا ان الحرية هي مقياسنا ولنا هنا ان نؤكد بها بثقة ، فالحرية ليس متشمة فقط بالمؤسسات ولكنها قائمة ايضا ومتحققة بالامن الفردي حيث يقول صاحب الكلمة الحرة البناء رأيه وهو آمن على نفسه وماله ورزقه وهو من ثم يمارس حريته ويتحمل تبعاتها دون ان يدفع ثمنا ليس مطلوبا . ان هذه الحرية الامنة هي التي تعطي المعنى الكبير لهذا اليوم الذي تحقق من خلاله هذا الامر .

وهذا هو الجانب الملموس لا نقوله نحن ، بل تحكم فيه الوقائع التي نعرفها نحن ابناء الوطن جيدا ، واذا كانت معرفتنا غير كافية فان بجانبها شهادة من جهة

محايدة يثق بها كثيرون ويمكن ان نستشهد مثلاً بمنظمة مثل منظمة العفو الدولية ، فعندما نستعرض تقاريرها وتستقر اعيننا عند منطقتنا ونستعرض اسماء دول الشرق الاوسط المسطرة كغيرها لانجد لاسم وطننا الكويت ذكرا بل ان البديل احيانا يكون اشادة صامته بهذه الدولة التي لا تعتقل او تقتل صاحب الرأي . وهذه الشهادة الوسام هي احق من غيرها بان تكون نقطة الضوء التي نشير اليها مبتهجين في هذا اليوم .

وهذه الشهادة الدولية تجيز لنا ان نترجم ونتكلم وننطق بالحق الذي نعرف دون ان يكون نطقه خوفا او طمعا ، نقوله قولة المفتخر بوطنه الصغير الذي استطاع رغم ظروف كثيرة وقاهرة ان يحقق شروط الحرية وان يحاول استكمال معناها بمؤسسات التشريع والرأي ، ومهما قيل من نسبية هذه الاشياء ، فان هذه ستبقى افضل ما تحقق ، ويبقى المثال دائما نظرة مستقبلية له لن نعدم الحلم بها او نعمل لاجلها .

لقد عرفنا هذا الوطن وعائشناه ، وحدثت احداث ووقعت خلافات وتأزمت امور وتشابكت اجتهادات ، كل هذا وغيره حدث واجتزنا كل الحواجز دون ان تترك شرخا لا يصلح ، وكل ثلم بعد ذلك امكن تجاوزه ، وبقيت الكويت آمنة بأهلها لاهلها وبضيوفها لضيوفها ولن ينكر احد نسبة الفضل لاهله ، للذين يقولون الرأي بشجاعة وللصدر الرحب الذي يتقبل هذا الرأي فلا يستعمل سوط سلطة ، ولكنه يتحلل بروح حامل المسؤولية المؤتمن ، وللكل بعد ذلك الا يرضى او يوافق ولكن عدم الرضى والموافقة - ولا بد ان يوجد - لم يتجاوزا شرط الحرية واحترامها .

نعم ، هذا وطن مختلف اهله ، وتتعارض اراؤهم ولكن الذي يحكمهم هو شرط الحرية واطار القانون . ولم يتحول خلاف الرأي الى سجين وسجان ، اليس هذه الظاهرة البسيطة والمنطقية اصبحت عجيبة في زمن ساد نقيضها ؟!

توازن دقيق

وكما ان حرية الافراد شرط اساسي من شروط الاستقلال ، فان حرية الدولة وقراراتها هو المعبر الحقيقي عن مفهوم استقلال الدول ، ففك اغلال اليدين لا يعني

التحرر من السجن . اذا كانت هناك سدود حيطان تحجب عنك الآخرين او تسحب منك ارادتك بصورة ظاهرة او مستترة فالعالم الحديث تغيرت صورته ولكن المعادلة الاستعمارية ظلت باقية ، تبدلت الازياء واستجدت مسميات ولكن علاقة الاعلى بالادنى باقية ، والتابع والمتبوع سمة لا يخطئها الا متعمد فقد بان من الوضوح بحيث ان الامر يحتاج الى تعبير جديد في هذه المعادلات .

وها نحن بعد خمسة وعشرين عاما ، خرجت الكويت فيه من ارتباطها ببريطانيا واستطاعت ، رغم ظروف قاسية وضغوط غير خافية ان تحتفظ بارادتها بتوازن دقيق وخطوات مثبثة خوف الانزلاق ، ولم يسجل عليها العالم انحيازا او انها فاقدة لقرارها الخاص الذي يضع المصلحة العربية فوق اي اعتبار ، وكان التوافق تاما بين موقفها وارادتها النابعة من داخلها ، والدليل المادي هو ان هذه السياسة المتوازنة اعطت اسم الكويت ثقلا واضحا آت من تقدير العالم لهذا الوطن الصغير الذي استطاع الا يستبد به شعور الخضوع الى جهة دون اخرى ، ومن ثم فان الكتل الثلاث الاساسية من دول الشرق او الغرب او عدم الانحياز كلها تشيد او لنقل انها تنظر بتقدير خاص لهذا التوجه المتميز ، فالخروج من اسر التبعية ماديا ونفسيا يحتاج الى قدرة متميزة كي تتجاوز هوة السقوط ، وكان توفيق الكويت يستند الى ارض داخلية صلبة اطمأنت الى واقعها الداخلي فكان ظاهرها وعلاقتها الخارجية معادلا حيويا للعلاقات المتوازنة .

ليس من حقنا ، ونحن جيل عاش مرحلتين حاسمتين ، ولس فرقا واضحا ، ان نتمنى جمع هذه السنوات الخمس والعشرين في لحظة نلثمها ونلتقط منها قبسا مضيقا للسنوات الخمس والعشرين القادمة والتي نتمنى ان يكون وليدها اكبر واضخم واكمل واكثر وصولا الى الروح المتحضرة التي لا تكون الا بحرية الانسان الفرد واستقلال قرار الدولة .

الكوييت



شعر
يعقوب
البيعي



ARCHIVE

لَكَ فِي الْقُلُوبِ مَحَبَّةٌ لَا تُوصَفُ
<http://www.bibt4.com>

يَا مَنْهَلُ الْحُبِّ الَّذِي نَتَرَشَّفُ

لَكَ يَا كُوَيْتَ الْمَجْدِ فِي رُوحِي هَوًى

مُتَحَيِّزٌ لَكَ دَائِماً .. مُتَطَرِّفٌ

يَا خَيْرَ دَارٍ فِي الْوُجُودِ تَوَاصَلْتُ

أَرْحَامُهَا ، وَأَضَاءَ فِيهَا الْمُصَحَّفُ

عَرَبِيَّةٌ تَهَبُ الزَّمَانَ مَفَاخِرًا

لَا تَنْتَهِي أَبَدًا وَلَا تَتَوَقَّفُ

مَلَأَتْ مَحَبَّتُهَا السَّمَاءَ فَأَصْبَحَتْ

مِثْلِي الشَّمْسُ بِحُبِّهَا تَشْرَفُ

الْعَدْلُ حُكْمٌ ، وَالسِّيَاسَةُ حِنْكَةٌ
 وَالْأَمْرُ شُورَى ، وَالْحَقِيقَةُ تَهْتَفُ
 وَالْعِلْمُ يَبْنِي فِي الْكُوَيْتِ شَوَاحِجاً
 وَالْعَزْمُ يَقْضِي فِي الْأُمُورِ وَيُنْصِفُ
 يَا دَارَ آبَائِي الَّتِي نَسَجْتَ عَلَى
 دَهْرِي ثِيَابَ الْعِزِّ فَهُوَ الْمُتَرَفُّ
 مَاذَا أَقُولُ ؟ يَجِلُّ حُبُّكَ عَنْ مَدَى
 قَوْلِي وَإِنِّي فِي الْمَحَبَةِ مُسْرِفُ
 نَحْنُ الَّذِينَ عَلَى ثَرَاكِ تَفَتَّحْتُ
 أَبْصَارُهُمْ ، وَعَلَى هَوَاكِ تَأَلَّفُوا
 نَحْنُ الَّذِينَ إِذَا انْتَخَيْتَ بِهِمُ أَتَوْا
 كَالْبَرْقِ حَتَّى يَسْتَبِينَ الْمَوْقِفُ
 إِمَّا انْتِصَاراً نَحْنُ فِيهِ لَكَ الْفِدَى
 أَوْ قَوْلَةً لَكَ نَحْنُ فِيهَا الْأَحْرَفُ

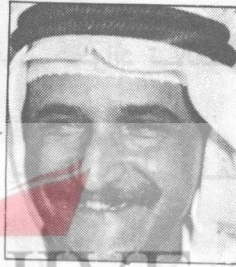
<http://ArchiveSakrit.com>

عِلْمُ الْكُوَيْتِ - وَأَنْتَ جَارُ شُمُوسِهَا -
 هَلْ تَزَحَمُ الْأَقْمَارَ حِينَ تُرْفَرُ
 اللَّيْلُ نُورُ السَّاهِرِينَ عَلَيْكَ فِي
 حُبٍّ ، وَلَيْلُ الْآخِرِينَ الْأَجُوفُ
 اللَّهُ أَنْتَ ، مُكْرَماً تَعْلُو بِنَا
 فَوْقَ النُّجُومِ ، وَفَوْقَ مَا تَنْشَوُّ
 يَمُضِي الزَّمَانُ وَأَنْتَ فِي ذُرْوَاتِهِ
 إِنَّ الزَّمَانَ - كُوَيْتَ - بِاسْمِكَ يَحْلَفُ

حول

البيئة

والأدب



سليمان الخليفي

ARCHIVE

البيئة على وجه العموم : <http://Archivebeta.Sakhril.com>

ماذا لو تخيلنا بدلة رياضية أو لباسا تقليديا ؟ أريد أن أفترض بأن اللباس وعاء يخترن في جوفه ضربا خاصا من الحركة ، فكأنه بذلك ظرف بيئي . وهذه مجرد وسيلة تنقلنا خطوة للتعرف على أثر البيئة وتقضي جوانبه .

البدلة تتيح للبدن ذي اللياقة مرونة تامة تنسجم مع أية حركة ، مهما كانت معقدة أو سريعة . في الجانب الآخر يقوم اللباس بتضييق الدائرة الى حدود الحركة المعتادة والمناسبة لطرازه . فاذا كان اللباس ثمينا ، دفع الى قدر أكبر من الحذر في الحركة ، واذا كان أنيقا فإنه يقود الى حركة تتناغم معه وتكشف عنه . ولهذا فنحن لا نتخيل مثلا أو نتوقع أية حركة صبيانية تند عن رجل يلبس من فوق ما يلبسه « البشت » !

المدخل التي يمكن تصورها عن أثر البيئة في نوعية السلوك والتصرف لا حصر لها . بطبيعة الحال . لأنها تتداخل مع أسباب الذوق والأعراف الاجتماعية وما إلى ذلك من أسباب . فإذا كان الملبس على محدوديته له كل ذلك الأثر ، فما بالك بأثر البيئة ؟

لا شك أن التأمل ، في أثر الشجرة وساحل البحر واحضان الربيع وحم القيقظ أو ما يتخرج عن يد الانسان ويلف حياته يضعنا أمام فوهة برج لا يهدم من الأمثلة ، بيد أن الغرض من السؤال ما كان الحصر ، بقدر ما هو توثيق للانطباع الذي يمكن أن تزجيه البيئة في إهابنا عندما نكتب أو نقرر . فالبيئة ليست ظرفاً محضاً ، بمعنى الجزء الطاهر من الكون. إنها شيء أشبه بالحالة الاسفنجية التي تمتص آثارنا وتمجها بالتبادل في مسلكنا وأعماقنا . هناك بعد طبيعي يتكافأ مع البيئة ، هو الزمن . وبعد آخر هو الفعل البشري وهكذا ، فحين يوجد المكان والزمان والانسان ، يوجد العمران فيوجد السبب والنتيجة كما توجد المحاولة والخطأ ، فالخزن والتدفق .

تلك أوصاف عامة ، ليس لها حساب الجغرافيا ولا أذرعة التاريخ ، في الوقت الذي تمثل البيئة نفسها على أنها بؤرة لـ « الدراما » فكيف التوصل الى الاجابة أو ما يشبهها ؟

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

لتنخيل موجا من فوقه « خشب » من فوقه رجل . الرجل يغادر أولادا وزوجا ، والماء يخفي احتمالا ، والريح تخفي احتمالا ، والقدر يبيت قدرا ، فلماذا لم يضرب الرجل في أعماق اليابسة ، قذف بنفسه في قلب الاحتمالات ، التي ربما كانت ممزقة لجسده أو مخيبة لأماله ؟

لا بد أنه قدر احتمال الرزق في يابسته فالرجل بين كفي الطبيعة ، اليابس والرطب ، تصرف وكان تصرفه كتابة لعنوان البيئة ، ونوعيتها وكيفية التعامل معها وتحديد بغيته منها ، والاستعداد لدفع ثمن مباشرتها الفاجع .

فإن كان ذلك ما يحدث بين الرجل والبيئة فإن بإمكان الكاتب أي شيء الا تجاهل تلك العلاقة وتأمل ذلك الأثر .

البيئة على وجه الخصوص :

لنتذكر بيئة صغيرة ، كانت ذات يوم تشاطىء البحر عند « بنيد القار » أقامها رجال من البادية ، تزامنوا مع الساحل ، فعرفوا فن - الخيط والحظائر لكنهم مازالوا يتقنون التعامل مع مراوغة الأرنب وطرد الطباء وتدليل الصقور ! واستعمالها في فيافيهم أدلة في شعابها . وبين هذا وذاك زرعوا ما بين أكوأخهم وصرائفهم مزارع للخضروات فهم يملأون أكفهم بمعرفة البر والبحر والتربة ، فاستخدموا كل ما هو في حينه الأداة المناسبة .

إن لأمسوا البحر ، اختلفت الهيئة ، واتجه الذهن عن مزاج الى ضرب من التقمص ، فابتل الجسم وابتيض القدمان أو نزفا ، وانزرت البدن بممداد البحر حتى الضلوع ، واشتغل الرجل بكل طريقة مطلوبة ، وكابد لكن دونما مفاوضة .

وإن تغامس مع التربة ، انشغل في حراك متوالٍ ، وتعفّر حتى خيل لناظره أنه يصلي معظم الوقت ، فنز العرق من مسام قمته ، فكأن قحفيته تشد براحتها على جمجمته فبذر وانتظر ولم يغفل وكل ذلك دونما مفاوضة .

وإن لبس على حزامه الرصاص ، وأوغل تحتاجه الرمال والأنواء ، واستغرقت المجازفة حتى حدها المسكر حيث لا تبدأ اللغة هناك إلا على نصل السرعة ، نسي البرد والخطر ، فاحترك عن جنون أو شغف كيما تتراجع الحكمة وتتفتق الدربة عن ضروب المعالجة ، فذاك برق لحباري أو ذاك طيف لغزال ، والرصاص والصقر والجهاز الهائل في السيارة يدفع الكل في نضال متفاقم للنهاية ، وحين تكون النهاية الدماء أيا كان مصدرها ، فليس ثمة مفاوضة .

البيئة والأثر :

يجلس الرجل ، اذا كان بحارا ، متحدثا عن العمل وظروفه فوق ظهر السفينة عن الممارسات والمصادفات والمفاجآت ؛ عن الرجال أو بعض الأيام ، تتكرر الاحاديث عبر مختلف الأوقات وتختلف الروايات ، إنه حديث عن شؤون الحياة

وأسبابها لا تفنى صوره ولا دواعيه . فهل نتخيل الصبية ؟ إنهم يستمعون الى أغلب ذلك ، وقد تعرفوا على شيء منه بحكم انضوائهم في حوزة البيئة . هكذا تتحلل البيئة عبر منشور المعاشية الى تنف أو صيغ ومفردات من المعارف ، يركبها الذهن حيناً على شكل مذاقات وأحاسيس وحيناً على شكل مفاهيم أو قناعات . وهكذا تؤثر في عالمه الروحي ، فتصنع ميوله وردود افعاله النقيضة أو طموحاته . فبينما البيئة قائمة من حوله ، منسجبة الى داخله ، فهي إما مغرية له أو مثقلة عليه . فالشمس مختلطة بالبحر والمواسم ، تتمازج مع خلجات الناس وأبنيتهم وملاصيحهم ومباشرة الحياة من بينهم ، تصوغ العادة المندفعة وتصمم التقليد ، فتكون العلاقات بين الناس قاسية وحانية . وتتعدد الخيارات بمقاييس للخلق متفاوتة ، فيكون الانتفاء أو التمرد كل بقدر ويكون من تداخلهما البناء والهدم .

البيئة والفكرة :

البيئة تركيب خلوي معجب ، معجب بعناصره وانقساماته . فهي لو مثلت بالخلية الحية ، لكانت المساحة شاسعة والعناصر بعيدة التنافر . ذلك أنه الى جانب الكون في مظهره الفيزيائي ومظهره التاريخي ، يتفاعل الانسان معه بكل ما في مكتبته من الثراء والتغير ، فالبيئة حين نتخيل مهمة الكاتب ، تمثل كل موارد أفكاره وغاياته ، لأنها تمثل كل موارد بواعثه، فهو أي الكاتب ، في حكم للسكون حين لا يكون وجودها متوقعا .

واذا كانت البيئة في اطار التجريد حالة غفلا ، فإنها تتحول لدى الحياة في حضنها الى بيئات متباينة في مسار تشكلها النوعي . حيث تبدأ هنالك شروط المجتمع في التحقق ، فثم من يبيع ويوظف ، ويشتري ! ثم من يقدم خدمته ويتلقى بإزائها ، ومن ينتخب النوع من الخدمات محدداً أثمانها بغية الاستثمار . ومن يستهلك النتائج ، هنالك اذن الطبقات . هنالك الحق والباطل . العدل والعسف .

بذلك تبدأ البيئة في التكوين حتى تصب في الشريعة ! فإن لم تسيطر الأخيرة باحكام ، حدثت التقلبات فتغيرت البيئة .

البيئة والفكرة على وجه الخصوص :

إذا كانت البيئة في حقيقة الأمر لا تستطيع أن تغفل من أسرار البيان اللغوي ، فهي طرف لا يكون إلا بطرف كأن نقول ، بيئة الانسان فإنها حينئذ المضاف وهو المضاف إليه .

وإذا كانت اللؤلؤة كمضاف إليه ، تشترط بيئتها - الصدفة ، المضاف ، وإذا كانت الصدفة أقل قيمة من اللؤلؤة ؛ بالمعنى المصرفي للكلمة ، فإنها ليست كذلك بالمعنى السببي لها . حيث لا لؤلؤة بلا صدفة . ولا صدفة بدون بحر وهكذا دواليك . والخلاصة هي أن الإنسانية تمثل في هذا المضمار من التمثيل ، التاج القائم بين الانسان والبيئة وهي المعادل لذلك المعنى المصرفي ، كما أن البيئة معادل لذلك المعنى السببي أو الواقع .

البيئة والشاعر :

وإذا ما جاء الشاعر - بالمعنى الشامل للكلمة - وأراد أن يحاكي حياته ويعيد خلقها في صور متعددة من أشكال التعبير ، اقتضاه الأمر أن يلم بمعرفة الواقع ، وأن يتمثل بتلك الحالة الاسفنجية نفسها من حيث قدرتها على الامتصاص .

إن البيئة في الوقت الذي يتعين فيه - لكي تخرج من الحالة الفعلية ، أو الحالة الخام - أن تتكافأ مع أبعاد أخرى مثل الزمن والفعل البشري ، فإنها عندئذ تمثل نفسها بما جرى العرف على تسميته الواقع ، وذلك خصوصا حين يكون الاتجاه منصبا في حقل الدراسات الأدبية .

والبيئة في مثل هذا الاتجاه لا تعدو أن تكون ذلك النوع من الرقعة الجغرافية في تلك الحقبة التاريخية وفي احتوائها لذلك الحدث الاجتماعي الخاص .

وانسياقا الى مزيد من التفهم للمصطلحات النقدية ، فإن البيئة كمفهوم عام ينسحب إلى هذا المصطلح ذي الخصوصية المحددة ، والموسوم بـ (المحلية) حين تكون مشكلة ما صالحة للمعالجة الفنية . فإذا ما مثلت البيئة نفسها بأبعاد مشتركة ،

من مكان ما وزمان ما ، وفعل ما ، في الواقع البشري العام ، فإن المحلية هي الاضافة النوعية لآفاق التجربة القومية ، والعالمية .

إن البيئة البحرية على هذا الأساس لا تطرح نفسها كما سبق ان طرح السؤال الخاص ببقعة الزيت ، على سبيل المثال ، مستوجبا حلولاً محددة في مجال العلوم الطبيعية والتقنية ، لكنها ولا تصالها بالظاهرة الاجتماعية ، وأفعال الانسان ، والخصوصيات الناجمة عن تفاعله معها ، من خلال صراعاته المتعددة ، فقد كان العلم الذي تقاس عليه البيئة في هذا المجال هو علم الجمال .

وهكذا فإن الشاعر الحقيقي هو ذلك المتخير للحادثة - المفارقة ! والذي حين يقول المثل العربي : إن شر البلية ما يضحك ، يستطيع أن يكشف عن بعد السخرية في اعقد المصائب ، وعن كيف يمكن أن يحدث ذلك ، كما يستطيع أن يضم يده على تلك العلاقة بين الفعل البشري والزمن ، محددًا مسار التحول ، ليكتشف ما هو قابل للانهيـار وما هو مفضٍ الى التطور ، ما هو بصالح الانسان ، أو بغير صالحه .

ذلك أن فن الشعر بصرٌ فيما هو نقطة في الطريق، نقطة تخيله الى شعبتين ، وعلى السالك حين ينتهي اليها أن يختار ، وعليه أيضا أن يواجه نوعية اختياره . وحين لا يكون الشعر الحقيقي ، وصفاً أو عاطفة ، إلا في حدوده الضيقة ، فإنه بذلك يكون لغة « درامية » تحتفي بالمعاناة وتكشف عن مسار الخلل في أسبابها .

والبيئة في مثل هذا التصور باعتبارها حضناً للواقعة - وقد كانت من قبل رحماً لها - إنما هي الآن رحم للواقعة القادمة .



« الغرفة »

في غرفتي الواجفة الطروب
تختلط الأرض بقسوة مع السماء
ويسبح اليأس مجنحا ويفرز النداء
المقعد الكسول ذاهل من انتفاضة الغسق
على شقائق القلب
وتلحق الأفكار جبهة النوافذ المؤرقة
وتذكر الجدران والمصباح همسة الطيوب
في غبطة اخضرار أمسها النديم
والعازفات الراحلات منشيدات
تحت الثياب المحرقة
لرعشة الغياب والموات
منضدة السرور تجثو فوق رقصة الرماد
في ركنها القصي في أرائك الظلام
تغربت فرشاه
فألبيت لوحاتها من صخب الشحوب
في كتب المودة الملقاة في احتدام
تطاوت أشعارها فأنبتت سراب
وتلتحي الرفوف بالضباب
الناي والهارب وموسيقى النشور
معزولة بعد السقوط

عبد الشامي داود

تؤلف القصيد تبعث الخيوط
في لوحة الرقاد
الشمس تغرق السنا زهرية الأقدام
المعبد الصغير فوق راحة القبور
تستسلم الأحلام للغرق
أروقة الجلال ترشف الصموت
وهمسة الأجراس تعلقو في اكتتاب
يهمهم الفجر بمس كوة الظمأ
فيوقظ انعكاسه الضئيل رعشة الكؤوس
الوهج الباكي يهدد الهواء ويستقر فوق هاتين اليدين
مؤلفا ياقوتة حمراء
في حفقة الشعاع
عيناى زورقان للألم
والمقعد الكسول ذاهل من انعكاسة الشفق
ويذكر ارتعاشة الشفاه في مزج اللهب
والجذوات تشعل القراش المتشبي من كوكبين
كطائرين عبر لا نهاية مقدسة
يرفرف الرحيق في رهافة الصخب
نار بنفسجية تناسلت على مدارج المجون
وأغلق المصباح عينيه مقدسا صلاة الشمعدان
آه تنفس الظلام عازفا نضارة السكون
يرتفع الملاك من مرافئ العيون
متكئا على ضباب الذكريات
وتسقط الأوركيد تدمي شفقيه السمات
وربة الشعر تكفكف الرفات

عتة الماضي واشراقة الحاضر

— اكد الادباء الكويتيون الاوائل ضرورة بقائهم في اذهان مجتمعاتهم .

— فهد العسكر خرج عن حدوده الجغرافية عبر قراءته المستمرة .

— لا بد من البحث عن حلة جديدة لمرحلة قادمة .

ARCHIVE

<http://Archivebeja.Sakhril.com>

بمقام
فنيصل السعد



الادب مرآة تعكس ماهية هذا المجتمع او ذاك ومرحلته . إذ إن الادب الحقيقي هو المواكب لانين مجتمعه ، ارقه ، حزنه ، فرحه ، « ان وجد » وهذا المواكب عليه التحدث بلغة المرحلة ومفرداتها ثم عليه ان يتناول الاحداث التي يعيشها اناس المرحلة هذا اذا ما اراد ان يؤكد ذاته كمرآة عاكسة لمجتمعه . فلا جدوى من شاعريته اذا كانت قصائده تبحث عن قارئ المستقبل الذي لم يولد بعد .

قبل الاستقلال

وهناك سيرة ادبية عاشتها الكويت اكد فيها الادباء قربهم من مجتمعهم والتصاقهم بأناسه حيث انهم كانوا يتحدثون بلغته ويتناولون همومه .

فالكويت قبل الاستقلال كانت تحتضن ادباء وشعراء امتازوا بقلتهم وتطلعهم الى شعر افضل يجعلهم اكثر قربا لمجتمعهم ، اذ ان المجتمع الكويتي انذاك فرضت عليه الانفرادية وبقي بعيدا عن الثقافات العربية والعالمية .

وقد لعب ذاك الحصار الثقافي المفروض بـ « لا مباشرة » على الآخرين في تشجيع الازدهار لتبحث عن المشكلة الاساسية ، وعرف الكتاب ان قوة العرب في وحدتهم واتحادهم وان قوة الاستعمار جاءت عبر نجاحه في تفتيت الوحدة العربية .

يقول خالد الفرج في احدى قصائده الوطنية :

وطني سويداء القلوب محله عندي وانسان العيون صفاته
فإذا تألم والخطوب كثيرة هاجت علي من الحشا اناته
هل في الجزيرة غير شعب واحد قد مُزقت بيد العدا وحداته
شعب بنو قحطان ركن أساسه وبنو نزار في العلا شرفاته
بدر له هالاته : اقحافه وخليجه وفراته وسراته^(١)

وهناك نماذج عديدة تؤكد ان الفهم العام للوطنية كان انذاك يعني حب الوطن والامة العربية ومحاربة الاستعمار بكل اشكاله. وهذا يؤكد ان الاستعمار كان آنذاك المفردة السائدة على جميع اللسان وكان يمكن ان يكون هذا الانتشار خيمة تنطوي تحتها اعمال سلطوية قد تفوق في استغلالها للانسان واقتلاع حقوقه من ذهنه ، اقول قد تفوق ما اعتاد ان يؤديه الاستعمار كمستلب وقح للآخرين .

وهذه الحال تؤكد ان الحكومات المتلونة حصلت على عمر اطول بسبب وجود الاستعمار في دولة عربية مجاورة . ولهذا فان تحرر او استقلال اية دولة عربية من شأنه ان يشكل خطرا على بعض الدول التي رُبِّيت اذهان حكامها تربية استعمارية لا تمت

الى العربية باية صلة .

لهذا كانت هناك ثمة نشاطات لهذه الدول تهدف من ورائها إلى اطالة عمر الاستعمار في هذه البلدة او تلك .

وقد ساعد الادراك لهذه الحقيقة في بروز اصوات ادبية قريية من اذهان اناس تلك المرحلة تتحدث عن الانسان والحرية والاستقلال . ظهر الشاعر فهد العسكر ١٩١٣ - ١٩٥١ صوتا « شغل به الناس في حياته لما اشاع بينهم من شعر جديد المعنى مصقول الثوب لم يألّفوه من قبل عند من سبقه من شعرائهم ، وشغلوا به لما اذاع بينهم من فكر بكر المفهوم غير معهود لهم ولا مسبوق اليه في مجتمعاتهم ، وشغلوا به لما نثر بينهم من حديث موشى بالنكتة قد يمس صميم معتقداتهم في بعض حواشيه فيثير سخطهم وغضبهم كلما انداح في اوساطهم وتناقله سمارهم . »^(٢)

فهد العسكر كان يعاني من الحاح الصراخ بما يجب ان يكون في الكويت او في عالمنا العربي ورفضه لما هو كائن، وكان يجهل « تبطين » معانيه بمفردات تكسبها جواز مرور امام المسؤولين لذلك ظل بعيدا عن بعض الاذهان التي كانت تؤمن بان السلطة هي التي تقوم بالتفكير نيابة عنها وما عليهم الا التفرغ لعملهم والتفكير بقوتهم اليومي . اذ انه « لم يدرك أنه شاعر فحسب وان الشاعر في كل واد يهيم وان هوى الشعر يجمع به في كل مضرب بل توهم كأضرابه فزعم نفسه مصلحا . فجر على نفسه الويل وخرب حياته المرحّة ثم انحسر الى ارض ذاته يعلك المرارة ويداويها بالخمير والضجر والشكوى والكراهية مما هو ليس من سمت المصلحين فعزل نفسه عن الناس وعزل الناس عنه . »^(٣)

وهذا موقف شرعي جدا فالشاعر الحقيقي هو الذي يعلب دوره في توعية الآخرين الذين تشجع سلبيتهم شاعرهم على اخذ دور الريادة في الاصلاح الى ان يظهر المصلح الحقيقي الذي يتكئ على قصائده .

وقد يكون فهم الشاعر لفتوته مختلفا عن فهم الآخرين حيث انه يرى ان

الصمت مرفوض لانه يمنح الاستعمار عمرا طويلا بل ويؤكد عدم جدواه كفرد عليه ان يعي حقيقته .

ولأن العسكر خرج عن حدوده الجغرافية حيث إنه « قرأ من الادب قديمه وحديثه وكان على صلة فيما يكتب بالعراق ومصر والشام من كتب ومجلات ثقافية »^(٤) لذلك رفض الآخرين ورفضوه وعرفوا ان لا فائدة من الصراخ وسط رمال لا يعي اناسها ماهية الوعي :

يا صغيرا اطل من كوة الرؤيا على مهجتي ولاح صباحا
انا بالصحو يا ملاكي جموح آه ما ضر لو كبحت الجماحا
يا حبيبي والشمس في كبد الافق سثمت النداء والالحاحا
ازفت ساعة الرحيل وقد ودع مهد الصبا والظبا والملاحا
انا اخشى عليك من اهلك السوء فهلا جعلتني مرتاحا
يا حبيبي تغفل الالم اللاذع في مهجتي وانكا الجراحا

كان جيل الادباء ما قبل الاستقلال والشعراء بشكل خاص يعاني من مراوحة مفروضة عليه ، فلقد كان مستعدا لعبور مرحلته واللباق بأدب المرحلة الجديدة الذي بدأ يمارسه العالم العربي ولكنه كان مصرا على ان يأخذ معه شعب الكويت الذي مارس مراوحة تثقيفية بطيئة اضطرته هو الآخر ان يراوح فترة من الزمن الى ان يجد البداية الجيدة والناجعة للانطلاق .

الاستقلال :

لا شك ان الحكومة آنذاك كانت تدرك الاختناق الذي يعاني منه الجميع والذي اعتادوه وما عاد البعض منهم يعتقد بان هناك فارقا بين تلك الحياة وحياة الاستقلال ان جاء .

ومن اجل اثبات العكس فأخذ الشيخ عبد الله السالم قيادة المسيرة وفتح الابواب

الثقافية ليبدأ الشعب الكويتي يحس لذة الارهاق وهو يبحث عن ثقافات اغتربت عنه
« او العكس » أعواما طويلة .

اختلف كل شيء في التعليم ، الاقتصاد ، السياسة ، العلم ، وهذا الاختلاف
اكّد للاوائل تأخرهم وشجع الجيل القادم على خوض الدروب التي كانت بعيدة عن
آبائهم فعُرفت الكويت دولة لها صوتها الواعي الذي يمكن سماعه عبر شعرائهم
وأدبائهم ومثقفهم وبدأ الصوت الكويتي يُسمع في أماكن من العالم كانت تجهل
الكويت ارضا وشعبا وثقافة .

« يا صاحبي

اياك ان ترّاع مما تشهد

اني سأروي لك ما يقوله الرواة

عن هذه المدينة

مدينة الاموات

قالوا ..

... لها شوارع سقوفها من الحجر

تمنع ان ينفذ من خلالها الضياء والهواء

وخيم الليل بها ...

.. فما له انتهاء

وربما خيل للسايرين في دروبها

اشباح»^(٥)

بدأ الادب الكويتي مسيرة اللحاق بعالم الادب المتقدم ويمكن ان نلمس هذه
الحقيقة في القصة ايضا حيث ان ظهور الدكتور سليمان الشطي والقاص سليمان
الخليفة والروائي اسماعيل فهد اسماعيل واخرين اكّد ان قلم القصة يبحث عن
الانطلاقات الابداعية والاتيان بما لم يأت به الآخرون .

وقد ادركت الدولة ضرورة التعليم ودوره في توعية الشعب لذلك فان جامعة

الكويت لعبت دورها في تخريج اذهان استطاعت ان تلعب دورها في تحريك العجلة الثقافية لتسابق الزمن .

من هنا يمكن القول إن الصوت الشعري الذي كاد يكون يتيمًا قبل الاستقلال تفرع لينبع من فروعه اخوة له في القصة والرواية والمرح والاغنية وفروع الثقافة الاخرى .

ولكن يظل الشعر هو الاكثر قربا لاذهان الناس الذين هم على استعداد مستمر لهضمه اكثر من مرة حيث انهم يشعرون بلذة في عملية الهضم الذهني التي يمارسونها . لذلك تبقى القصيدة الجيدة حية لا تموت مهما حاولت قصائد اخرى جيدة وقد تكون للشاعر نفسه ان تحتل مكانتها :

وجذوعكم عريانہ سجدت والريح تحرق عريها حرقا
اثوابكم مِرْزَقٌ وما خُلِعَتْ حتى مَ فوق جلودكم تبقى
كم رحت اخلع فوقها جزعا ثوبي . وكم لملمتها رتقا
الريح تسرح في شراعيكم غربا وابحر فيكم شرقا
اني سأرشقكم اذا حُرِقت اجفانكم بأزاهري رشقا^(٦)

<http://Archivebeta.Sakilrit.com>

أكدت الاصوات الادبية الصادقة الحرية التي كانت قد حجبت في فترة ما قبل الاستقلال ويمكن ان نضع الى جانب هذه الاقلام ما يكتب في السياسة والاقتصاد والجوانب الثقافية الاخرى ، اضافة الى اقرار مجلس امة يحمل صوت الشعب ويكون له رأيه في اي خطوة تقترحها الحكومة قبل التنفيذ .

الصورة التي نعيشها لكويت الحاضر تؤكد أننا نحيا فترة تختلف كل الاختلاف عن تلك الفترة لذلك يحق لنا ان نأخذ من الاستقلال نقطة انطلاق للعمل سويا في سبيل بناء كويت نقى .

خاتمة :

الصمت مدخر لسيئات يصعب تجاوزها وتراكم هذه السيئات يولد ولا شك

انفجارا يؤدي الى منح مساحة للاذهان من اجل ان تمارس حرياتهما في العطاء والابداع .

وجاء الاستقلال ليمثل نقطة انطلاق لتحرك يهدف الى استغلال كل ما يمكن استغلاله والابداع فيه .

وهذا التحرك من شأنه ان يجعل اذهاننا تعيش حالة انتظار مستمرة للجديد في كل شيء . ولا شك ان الاستمرار في العمل يشترط الخطأ بين آونة واخرى ، وهذا الخطأ المرتقب لا يمكن خنقه الا بالتلاحم والانشاد بصوت واحد : وطني الكويت سلمت للمجد .

وبعد الانشاد يتحرك الجميع من اجل عطاء متقدم يمنح خطواتنا الالية صفة اخرى تمثل مرحلتها .

وهذه الشروط يمكن تطبيقها حتى على الادب الكويتي حيث ان المرواحة قاتلة مهما ابداع صاحبها في اختيار المفردة الافضل لها فاذا كان الاستقلال قد منحنا القدرة على خلق جوادبي يعين على اللحاق بالآخرين العرب فان علينا ان نواصل هذا اللحاق ونطمح الى سبقه من اجل ان تنتقل عملية اللحاق له اما هذا الحلم او المرواحة ولاننا نرفض الصفة الاخيرة فالافضل ان يحاول الصوت الادبي الكويتي الاستمرار في اجتياز مراحلہ والبحث عن حلة جديدة لمرحلة قادمة .

المراجع :

- ١ - خالد الفرّج حياته واثاره - خالد سعود الزيد .
- ٢ - ادباء الكويت في قرنين ج٢ - خالد سعود الزيد .
- ٣ - نفس المصدر .
- ٤ - نفس المصدر .
- ٥ - ديوان الشعر الكويتي - الدكتور محمد حسن عبد الله .
- ٦ - المبحرون مع الرياح - ديوان شعر - الدكتور خليفة الوقيان .





بصلم الدكتور
سعاد عبد الوهاب

إسلاويك أحمد شوقي

د راسـة
أسلوبية
نقدية

ARCHIVE

عاش شوقي في الفترة ما بين سنة ١٨٦٨ وسنة ١٩٣٢ ، فتأاح له ذلك أن يشهد

مرحلة سياسية وتاريخية خطيرة في حياة مصر خاصة والشرق العربي عامة ، وقف شعره على تسجيل أحداثها تسجيلا جعل منه شاعرا كبيرا ، كما أتاح له ذلك أن يشهد مرحلة جديدة في تاريخ الشعر العربي الحديث ، وأن يساهم بفنه مساهمة خصبة في تطور هذه الحركة الشعرية وانتقالها من مرحلة الاحياء الى مرحلة جديدة حقق فيها الشعر كثيرا من التطور في قيمه الفنية واللغوية ، وقد جعل ذلك لشعر شوقي أهمية مزدوجة موضوعية وفنية :
فمن الناحية الموضوعية نستطيع أن نستخلص من شعره صورة لأحداث عصره ومواقفه ومواقف معاصريه من هذه الأحداث في شكلها القومي والوطني ، فلم يترك شوقي حدثا مصرياً أو عربياً الا تحدث عنه في شعره .

ومن الناحية الفنية فقد تطور بحركة الاحياء الشعري التي بدأها البارودي في مصر وبدأها غيره في العالم العربي ، تطورا أحيا الصيغ الموروثة وطورها جاعلا منها شكلا جديدا ، مستخدما هذا الشكل الجديد في وصف أحداث عصره والتعبير عن مواقفه من هذه الأحداث تعبيرا ذاتيا استغل فيه التاريخ والواقع استغلالا بارعا ، وكان لهذه المكانة الفنية والموضوعية لشعر شوقي أثرهما العميق على الذين قاموا بدراسة شعره ، فقد أغراهم الجانب الموضوعي لاتصاله بالأحداث السياسية والاجتماعية ، المصرية والعربية ، فوقفوا دراساتهم على الكشف عن دوره السياسي ومواقفه الوطنية وآرائه السياسية والاسلامية ، وغاب عنهم الجانب الفني فلم يعرضوا له الا عرضا عاما سريعا في داخل هذا الاطار الموضوعي الذي فرض وجوده على كتاباتهم . ولذلك فإن هذه الدراسة هي دراسة أسلوبية نقدية للشعر الاسلامي عند شوقي تهتم بالربط بين التناول اللغوي والتحليل الأدبي ربطا ميدانيا ، وتسعى الى تحليل النص فنيا للكشف عن آثار هذا التيار الاسلامي في الصورة العامة للقصائد الشوقية وما أحدثه هذا التيار من تعديل أو اضافة أو تراكم من خلال المزاوجة بين الأصالة والمعاصرة .

هذه الدراسة تكشف عن وسائل شوقي الفنية في التعبير عن قضاياها ، ذلك أن الدور الذي قام به شوقي في تطوير حركة الاحياء الشعري أخطر بكثير من الدور السياسي الذي قام به في تسجيل صلاته بالأسرة الخديوية ، وتصويره لقضايا العصر السياسية والاجتماعية .

ومن هذا المنطلق ، منطلق دراسة شعر شوقي الاسلامي في صبغته الفنية ، جاءت فصول البحث المختلفة :

الفصل الأول : دراسة للخلفية السياسية لشعر شوقي الاسلامي كما تتمثل في نشأة التيار الديني وتغلغله في الحياة العامة ، ونشأة الجامعة الاسلامية وما تفرع منها من الدعوة الى الخلافة الاسلامية وهي موضوعات ، أو فننقل قضايا ظفرت بأهمية كبيرة في المرحلة التي عاش فيها شوقي لأسباب كثيرة لا سبيل الى تفصيلها الآن . كما تحدثت في هذا الفصل عن صلة شوقي بمجتمعه المصري والعربي وهي صلة تركت آثارا بعيدة وعميقة في أشعاره .

ويتركز الفصل الثاني حول دراسة أثر النزعة الاسلامية في موضوعات شعر شوقي المختلفة ، فقد ظهر من قصائده المختلفة غلبة التفكير الاسلامي على موضوعاتها حتى تلك الموضوعات التي لا تتصل مباشرة بالاسلام ، ويظهر ذلك بوضوح في قصائده الفرعونية التي تحدث فيها عن تاريخ مصر القديمة في ظل الفراعنة وآثارهم الباقية على مر الزمن ، كما غلبت في حديثه على تاريخها ، وفي شعره المسرحي أيضا ، وهو ما يؤكد حقيقة فنية وموضوعية هي حرص شوقي على صبغ معانيه وموضوعاته بالصبغة الاسلامية ، وهو تأثير عميق للاسلام في شعر شوقي وقفنا عند نماذج متنوعة منه .

أما الفصل الثالث ، فهو دراسة للمحاور الأساسية للشعر الاسلامي عند شوقي ، تلك المحاور التي رأيناها تغلب على قصائده ، وتتمثل في العبادات والشعائر كما تتمثل في المدائح النبوية وشعر المناسبات ، فهذه الموضوعات جميعها تعوم في المعاني الاسلامية عوما سواء من حيث اللغة أو التشبيهات أو الأحداث .

أما الفصل الرابع فيدور حول أثر آخر من الآثار الاسلامية في شعر شوقي المتمثلة في الموروث التاريخي والموروث الأدبي والموروث الديني .

وقد عمد شوقي الى الاقتباس من تاريخ العثة وتاريخ المسلمين بعد ذلك فتحدث عن غزوات الرسول (ص) كما تحدث عن فتوحات المسلمين للعالم الخارجي وما ترك ذلك من أثر في حياتهم ، كما ذكر كثيرا من رجال المسلمين وأبطالهم متخذا منهم صورة يقيس عليها مدائحه في العثمانيين وغيرهم ليضفي عليهم بذلك مسحة دينية مقدسة ، كما نراه فيما يتصل بالموروث الأدبي يعارض مشاهير الشعراء الاسلاميين ، والأمويين والعباسيين في قصائدهم ، كما نراه يأخذ من التراث الأدبي شخصيات عديدة :

فياخذ من كليلة ودمنة ومن كتاب الأغاني وغيرهما من التراث الأدبي في العصور العربية الزاهرة ، أما الموروث الديني فقد أخذ منه كثيرا من الشخصيات الدينية مثل شخصيات الأنبياء في الديانة الاسلامية وفي غيرها من الديانات السماوية الأخرى كما أخذ بعض الشخصيات الشريرة مثل شخصية (إبليس) يريد بذلك أن يقيس عليها

شخصيات وأعمال الذين تحدث عنهم من المعاصرين ، وكأن هذه الشخصيات عنده كانت مجرد وسائل فنية للتعبير من خلالها عن أفكاره ومواقفه من الأحداث السياسية والاجتماعية في أيامه .

أما الفصل الخامس والآخر فيخلص لدراسة أثر الثقافة القرآنية والدينية في شعر شوقي ، ذلك أن شوقي قد تأثر بالقرآن الكريم تأثرا عميقا ترك في شعره أثرا واضحا وهو أثر يمكن أن نلمسه في عدد من الظواهر التي تغلب على قصائده والتي يمكن تلخيصها في إكثاره من تضمين الآيات القرآنية في أشعاره . وذكره للقصص القرآني واستخدامه لألفاظ قرآنية معروفة . وغير ذلك من الظواهر الأخرى التي تصور ثقافة دينية عميقة .

أما صور شوقي الدينية التي أوردتها فيمكن أن نردها الى الموروث الثقافي والنزوع نحو القديم ، هذا النزوع الذي يعد موقفا حضاريا عاما يشمل جميع مجالات الحياة ، اذ يعتبر نوعا من التحدي أمام المد الاستعماري ، الذي لم يكن غزوا عسكريا فحسب ، وإنما كان غزوا حضاريا وفكريا ، وقد أوجدت حساسيات الفترة وظروفها إزاء هذا الغزو مناخا من نوع خاص جعل الردة الى الموروث القديم في أعصر نقاوته دليل صحة ثقافية ونفسية وملاذا يحمي الشخصية ويمسكها ، وهذه الصور الدينية استقطاب كامل للتجربة العربية ، وتحقيق للذات القومية عند شوقي .

أما المعجم الديني عند الشاعر فتناولته الدراسة من منظور لغوي ، أبعاده وخصائصه ، وبقدر ما يبرع الشاعر في تعامله مع الكلمات يكون حظه من الفن والشاعرية ، ومن هنا تأتي أهمية المعجم الديني الشعري لديه .

وقد ختمت هذه الدراسة بملخص أوضح فيه ما توصلت إليه من نتائج . وبعد . . فأنا أدرك اتساع الموضوع وتشعبه ، وأدرك أيضا كثرة مصادره ومراجعته . ولكن كثرة المصادر والمراجع التي تقف وراء موضوع من الموضوعات - كقلتها - تشكل مشكلة في دراسته ، فكثرتها تثير من حوله زحاما في الآراء على الباحث أن ينفذ من خلاله الى رأيه الشخصي ، وقلتها تضعه في شبه فراغ عليه أن يملأه من خلال رؤيته الشخصية ، وأمامي في هذا الموقف أستاذتي الجليلة الدكتورة سهير

القلمواوي مثلاً أعلى أمثله ، ورائدة خبيرة سلكت الطريق من قبلي ، تمدني بتوجيهاتها
السديدة ، وتمنحني خلاصة تجربتها العلمية الواسعة العميقة ، فلها مني أصدق
عبارات الشكر ، وأعمق معاني التقدير ، وأطيب آيات الدعاء ، والله يجزيها عني وعن
العلم كفاء ما قدمته لي وله .

كما أسجل تقديري وشكري وأطيب آيات دعائي لأستاذي الفاضلين الدكتور
محمود مكي والدكتور ابراهيم عبد الرحمن لتفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث وابداء
ملاحظاتها السديدة فجزاهم الله خير جزاء .

والله الموفق .





رسمًا - لغة - بلاغة

قراءة - نحوًا - صرفًا

ARCHIVE

بقيام :
الدكتور يوسف
أحمد المطوع

الهمزة : صوت حلقى مجهور مخرجه أقصى الحلق .
وقد درج السابقون على ألا يعدوها من الحروف ، لأنها لا هجاء لها ، إنما تكتب
مرة ألفا ، ومرة ياء ، ومرة واوا ، ويسمونها الألف المهموزة ، ^(١) ، أو الألف اليابسة
المسماة همزة ^(٢) .

وهذا القول منقوض ، لأنك سترى بعد قليل أن الهمزة حرف له رسمه ، الذي يحكي رأس العين ، وأن له استقلاله ، كالهمزة المتطرفة بعد ساكن .

ويقول السيوطي : قال الفراء : الهمزة هي الأصل ، والألف الساكنة هي الهمزة ترك همزتها . وقال ابن كيسان : الألف هي الأصل .

ثم يقول السيوطي : وفي حاشية الكشف للتفتازاني ، قالوا : الألف على ضربين : لينة ومتحركة ، فاللينة تسمى ألفا ، والمتحركة تسمى همزة ، والهمزة اسم مستحدث لا أصلي ، وإنما يذكر في التهجي الألف لا الهمزة^(٣) .

ومثل هذا الذي ذكره السيوطي عن حاشية التفتازاني يقوله الجوهري في آخر كلامه على (أوا) : والألف من حروف المد واللين ، فاللينة تسمى الألف والمتحركة تسمى الهمزة .

وإذا ثبت لها هذا ثبتت حرفيتها ، ولا يرد هذا مجيئها في بعض أحوالها تمتطى الألف مرة ، أو الواو مرة ، أو الياء مرة ، فهي لم ترسم ألفا ولا واوا ولا ياء ، وإنما جاءت هكذا في الرسم ، لأنها برسمها الذي اختير لها لا تتصل بما قبلها من الحروف ولا يتصل بها ما بعدها ، ولو أنها جاءت أول ما وضعت قابلة للاتصال لكان شأنها شأن الحروف ، ولأغتننا عن هذا الخلاف الكثير الذي كان ، والذي لا يزال قائما حول رسمها عند الاملايين .

ويبدو أن هذه الأحرف الثلاثة التي اختيرت لها لتمطيتها كانت بمثابة الحركة لها ، من فتح وضم وكسر ، غير أن هذا لم يعه الاملايون وعيا كاملا ، من أجل هذا اختلفوا فيما بينهم على وجوه تقرب في أكثرها من هذا السبب الذي رأيناه .

من أجل هذا عددها البعض حرفا ، وعدوا حروف الهجاء تسعة وعشرين حرفا بها ، على حين عددها - أي حروف الهجاء - من اطرحو الهمزة ثمانية وعشرين حرفا . ويكون سوق الحروف الهجائية عندئذ على المساق الأول : همزة ، ألف ، ياء . . الخ .

هذا ونرى ابن منظور عند كلامه على (أ) : الألف : تأليفها من همزة ولام وألف^(٤) .

وفي هذا ما يرد على السيوطي فيما نقله عن التفنازاني : والهمزة اسم مستحدث لا أصلي وإنما يذكر في التهجي الألف لا الهمزة .
ولا يفوتني هنا أن أعرض ما قاله القلقشندي تحت عنوان (علامة الهمزة) ، يقول :

والمقدمون يجعلونها نقطة صفراء ليخالفوا بها نقط الاعراب الحمراء ، ويرسمونها فوق الحرف أبدا ، إلا أنهم يأتون معها بنقط الاعراب الدالة على السكون والحركات الثلاث بالحمرة ، وسواء في ذلك كانت صورة الهمزة واوا أو ياء أو ألفا ، إذ حق الهمزة أن تلزم مكانا واحدا من السطر ، لأنها حرف من حروف المعجم .

فالقلقشندي هنا صريح في أن الهمزة حرف ، وهذا الاشكال في أمرها مرده إلى أنها لم يوضع لها حرف أول الأمر ، وإنما دل عليها بهذه النقطة الصفراء ، ومع أنها كانت نقطة حملت علامات الاعراب شأنها في ذلك شأن سائر الحروف .

ثم يقول القلقشندي : والمتأخرون يجعلونها عينا بلا عراقه ، وذلك لقرب مخرج الهمزة من العين^(٥) ويقول : قال الشيخ أبو عمرو الداني : وتمتحن الهمزة في موضعها من الكلام بالعين ، فحيث وقعت العين وقعت الهمزة مكانها .

وثمة كلمة أخرى صريحة للقلقشندي في حرفية الهمزة يقول : وقد اختلف القدماء من النحويين في أي الطرفين (اللام ألف) هي الهمزة ، فحكى عن الخليل ابن أحمد أنه قال : الطرف الأول هو الهمزة والطرف الثاني هو اللام^(٦) .

فالهمزة حرف لا شك في ذلك ، وكان من حقه أن يأخذ رسما مستقلا ، ولكننا نكاد نوقن أن الحروف العربية ولدت خداجا ، بدليل ما طرأ عليها بعد من اضافات على مراحل ، وكان مبلغ ما ظنوه عن الهمزة أن الألف تغني عنها متحركة ، وكان هذا مع الأول هينا ، ولكنه وسطا كان غير مطبق ، من أجل هذا احتالوا فجعلوها على حرف يحملها ، وتبع هذا خلاف طويل لما ننته فيه إلى رأى أخير .

بقي أن نسأل : لم اختير في رسمها أن تكون على صورة رأس العين ؟
ويكاد ما نقله ابن منظور عن أبي زيد الأنصاري يعلل لنا هذا : قال ابن منظور : قال أبو زيد الأنصاري : فإذا أردت أن تعرف اشباع الهمزة فاجعل العين في

موضعها ، كقولك : قرأت ، بوزن قرعت ويقول ابن منظور أيضا (مادة : همز)
والهمزة من الحروف معروفة ، وسميت الهمزة لأنها تهمز فَتَهَتْ ، فَتَنَهَمَزُ عَنْ مَخْرَجِهَا ،
يقال : هَوَيْتُ هَتَا ؛ إذا تلکم بالهمز ، ويقول ابن الجزرى عند الكلام على صفات
الحروف : فالشديدة ، وهي ثمانية : أجد قط بكت فعد الهمزة أولها ورسمها على
ألف قاعدة إملائية^(٧) .

وقال عند الكلام على مخارج الحروف : المخرج الثاني : أقصى الحلق ، وهو
للهمزة والهاء يعني أيا كان رسمها .

وهمة الوصل : وإن سميت همزة ، فليست من البابة ؛ فإنها يقال لها : ألف
الوصل ، وهي لا تخرج إلى غير الألف ، ثم هي إن سميت همزة ، فهذا لأنها :
شاركت الهمزة في النطق ، فتجىء مفتوحة ومضمومة ومكسورة في مواضع معينة لا
تعدوها ، ولا تكون إلا أولا ، وهي في تحملها للحركة لا تتحملها أصلا ، بل توصلا
لنطق الساكن ، ثم هي لا تحمل السكون ، وليس هذا شأن الحرف الذي هو متمكن
في الحرفية .

من أجل هذا خالف الاملائيون ما صوروا به همزة القطع ، فجعلوها رأس
صاد ، وكثيرا ما تهمل هذه الإشارة ويغنون بورود الألف عارية لأن مكانها بين يدي
الساكن للتوصل إلى النطق به يجزىء ، فليس ثمة أصالة في الهمزية ، ولكن الذي
اقتضى حملها على الهمزية هي تلك الحركة العارضة التي تكاد تكون من حركة ما
بعدها .

ويؤيد هذا ما قاله القلقشندي تحت عنوان (علامات الصلة في ألفات
الوصل) .

وهكذا نرى القلقشندي لا يجعلها همزة بل يجعلها ألفا ، بل نراه يعددها بتعدد
أماكنها ، فيقول : ألفات الوصل .

ثم يقول : أما المتقدمون فانهم رسموا لها جرة بالخمرة في سائر أحوالها وجعلوا
محلها تابعا للحركة التي قبل ألف الوصل .

ثم يقول : وأما المتأخرون فانهم رسموا لذلك صادًا لطيفة إشارة إلى الوصل ،

وجعلوها بأعلى الحروف دائما ، ولم يراعوا في ذلك الحركات اكتفاء باللفظ^(٨) وليس في هذا ما يدل على الأصالة الحرفية التي هي للهمزة .

هذا إلى أنها تحذف في مواضع لعل لفظية لا لعل نحوية أو صرفية ، وليس هذا شأن الهمزة المتمكنة في حرفيتها ، فهي تحذف :

١ - مع (ال) الحرفية أو الاسمية ، إذا دخلت عليها همزة الاستفهام ، أو اللام الحرفية للجر أو للقسم أو للتوكيد أو للاستغاثة أو للتعجب ، أو دخلت عليها : من أو على ، أو بنو .

٢ - مع المصادر التسعة وما تصرف منها من الماضي والأمر^(٩)

وقبل ان نأخذ في الكلام على رسم الهمزة أحب أن أسوق ما قاله السيوطي عن صلة الهجاء بالنحو ، يقول : وعلم الخط ، ويقال له : الهجاء ، ليس من علم النحو ، وإنما ذكره النحويون في كتبهم لضرورة ما يحتاج إليه المبتدئ في لفظه وفي كتبه لأن كثيرا من الكتابة مبني على أصول نحوية ، ففي بيانها بيان لتلك الأصول ككتابة الهمزة على نحو ما يسهل به ، وهو باب من النحو كبير^(١٠) ويقول طاش كبر زادة : علم املاء الخط العربي : علم يبحث فيه بحسب الأنية واللمية عن الأحوال العارضة لنقوش الحروف العربية ، لا من حيث حسنها في السطور ، بل من حيث دلالتها على الألفاظ العربية بحسب الآلات الصناعية ، أعني القلم وأمثاله ، بعد رعاية حال بسائط الحروف من حيث الدلالة على الحروف التي هي أجزاء الألفاظ . وهذا العلم من حيث حصول الحروف بالآلة من أنواع علم الخط ، ومن حيث دلالتها على الألفاظ من فروع علم العربية^(١١) .

الهمزة رسما

الحركات في العربية ، وهي الفتح والضم والكسر والسكون ، وتسمى الشكل ، وظيفتها تكييف الحروف العربية نطقا لا رسما ، وهذه القاعدة تنظم الحروف كلها غير الهمزة ، فالحركات مع الهمزة تكييفها نطقا ورسما ، فالهمزة كما تعتمد

في رسمها على الحركة التي تحملها كذا تعتمد على الحركة التي تسبقها ، وليت الأمر ينتهى عند هذين ، بل ثمة موجات ومجوزات ، وهذا كله قد جره ما فات الواضع الأول للحروف العربية من وضعه حرفا يمثل الهمزة مثل ما وضع لسائر الحروف . ولقد وضعت الحروف خداجا ، كما قلت قبل ، فكانت مهملة النقط ، أو الاعجام ، مهملة الشكل ، وانتهى المتقدمون إلى أن يجعلوا :

١ - علامة الفتح نقطة بالحمرة فوق الحروف ، فإن اتبعت حركة الفتح تنوينا ، جعلت نقطتين ، إحداهما للحركة والأخرى للتنوين .
ولما انتهى الأمر إلى المتأخرين جعلوا علامة الفتح ألفا مضطجعة ، إذ كانت الألف علامة الفتح في الأسماء المعتلة ، يعني الأسماء الخمسة ، ورسموها في أعلى الحرف .

٢ - وعلامة الضم نقطة بالحمرة وسط الحرف ، أو أمامه ، فإن لحق حركة الضم تنوين ، رسموها لذلك نقطتين ، إحداهما للحركة ، والأخرى للتنوين .
ولما انتهى الأمر إلى المتأخرين جعلوا علامة الضم واوا صغيرة ، إذ كانت الواو علامة الرفع في الأسماء المعتلة ، يعني الأسماء الخمسة ، ورسموها بأعلى الحرف .
٣ - وعلامة الكسر نقطة بالحمرة تحت الحرف ، فإن لحق الكسر تنوين رسموا لذلك نقطتين ولما انتهى الأمر إلى المتأخرين جعلوا علامة الكسر شظية من أسفل الحرف إشارة إلى الياء التي هي علامة الجر في الأسماء المعتلة ، يعني الأسماء الخمسة .
٤ - وعلامة السكون جرة بالحمرة فوق الحرف .

ولما انتهى الأمر إلى المتأخرين رسموا لها دائرة تشبه الميم ، إشارة إلى الجزم : إذ (الميم) آخر حرف من كلمة (الجزم) وحذفوا عراقا (الميم) للخفة وسموا تلك الدائرة الجزمة ، أخذوا من الجزم الذي هو لقب السكون (١٢) .
وهكذا ترى أن هذه الحركات عند المتأخرين ترتبط ارتباطا وثيقا بالنحو ، الأمر الذي لم يصدر عنه المتقدمون .

وكما حملت الحروف العربية هذه الحركات في ظل المتقدمين وفي ظل المتأخرين حملته الهمزة تكيف بها نطقها وتكيف بها رسمها ، فهي تكيف رسما أولا ثم تكيف

نطقا ، تسايروها القواعد النحوية وتغيب عنها شيئا .
فنى القلقشندي يقول عند تقسيم الحروف إلى ما له صورة وإلى ما ليست له
صورة : القسم الثاني : ما ليس له صورة تخصه ، وهو الهمزة إذ تقع على الألف
والياء ، وعلى غير صورة ، ولها ثلاثة أحوال . (١٣) .

ثم يمضي القلقشندي في بيان تلك الأحوال الثلاثة فيقول :
الحال الأول : أن تكون في أول الكلمة : فتكتب ألفا بأي حركة تحركت - يعني
من فتح وكسر وضم ، إذ الساكن لا يقع أولا (١٤) .
ولقد زاد المحدثون فجعلوا الهمزة المكسورة أسفل الألف ليستغنوا عن
الكسرة .

وما صور عليه المتأخرون الهمزة على رأس الألف تصحبها الحركات الثلاث
الفتحة والضمة إلى أعلى ، والكسرة إلى أسفل ، يكاد يعطى الصورة الكاملة للحرف
المستقل من حمله للحركات المنطقة ، لولا أنها لم تجيء مستقلة برسمها .
الحال الثاني : أن تكون متوسطة ، ولها حالان :

الأول : أن تكون ساكنة ، ويكون ما قبلها متحركا ، وهذه تكتب بحركة ما قبلها ،
فإن كان مفتوحا كتبت على ألف ، وإن كان مضموما كتبت على واو ، وإن كان
مكسورا كتبت على ياء . وهنا نرى الهمزة شاركت حركتان في رسمها ونطقها :
١ - حركة ما قبلها في رسمها .

٢ - وحركتها هي التي تحملها في نطقها

ولم تستطع الحركة المنطقة أن تحمل العبثين معا شأنها مع سائر الحروف .

الثاني : أن تكون متحركة وهذه :

١ - إما أن يكون ما قبلها ساكنا .

وهذه معها آراء كثيرة ليس هنا مجال حصرها ، غير أن الأرجح فيها كلها ألا
تثبت للهمزة صورة ، كما يقول القلقشندي ، وهو يعني ألا يحملها حرف من الأحرف
الثلاثة : الألف والواو والياء ، فجعل استقلالها غير صورة ، وهو في الحق صورة لأن
الهمزة فيها حققت ذاتها ، ولو أنها كان لها رسم خاص بها شأنها في ذلك شأن سائر

الحروف لما كان ثمة ما يعقب به .

والهمزة هنا حملت حركتها المنطقة لها ولم تعتمد على حركة قبلها فكيف رسمها .

٢ - وإما أن يكون ما قبلها متحركا .

وهذه في الأرجح تكيفها رسما الحركة التي قبلها ، وتكيفها نطقا حركتها^(١٥) .

الحال الثالث : أن تكون آخر ، ولها حالان :

الأول : أن يكون ما قبلها ساكنا ، وهي هنا بين أمرين :

١ - إما أن يكون ما قبلها صحيحا فتكون لا صور لها ، كما يقول القلقشندي ، وهو

يعني ألا يحملها حرف من الأحرف الثلاثة ، الألف والواو والياء وما عقبنا به على القلقشندي فيما سبق يصح أن يكون تعقيبا هنا .

٢ - وأما أن يكون ما قبلها معطلا ، والأرجح هنا أن تكون لا صورة لها^(١٦) .

وهكذا نرى الهمزة استعصت على ما يحملها من ألف أو واو أو ياء وجنحت إلى

إثبات ذاتها حاملة حركتها المنطقة غير متأثرة بحركة ما قبلها في رسمها .

وحسبنا من هذه المواضع التي ليست بالقليلة ، والتي جاءت فيها الهمزة مستقلة

بذاتها ، ما يؤكد لنا ما ذهبنا إليه قبل من أن الهمزة حرف كسائر الحروف ، والذي جر

إلى هذه النظرات الأولى إليها من أطراحها من بين الحروف مرة ، وتسميتها بالألف

اليابسة أخرى ، ثم الإقرار بها ولكن غير مصورة وصورتها تتمثل في الألف والواو

والياء مرة ثالثة .

الثاني : أن يكون ما قبلها متحركا .

وهنا تتكيف الهمزة بحركتين :

١ - حركتها هي التي تملأ نطقها .

٢ - وحركة الحرف الذي قبلها التي تملأ رسمها^(١٧) .

ومثل الذي ذكره القلقشندي ذكر مثله السيوطي في همع الهوامع^(١٨) .

غير أنا نجده ، وهو يتكلم عن الهمزة التي هي في الحشو ، والتي الاختلاف فيها

كثير ، كما مر بك ، يقول : ومنهم من يجعل صورتها الألف على كل حال ، وهذا أقل

استعمالا . ومنهم من يجعل صورتها على حسب حركتها .

ومنهم من يجعل لها صورة للفرق بين المهموز وغيره^(١٩) .

فهذا الرأي الأول الذي عليه القلة هو رأي من يؤمن بحرفية الهمزة ، وإذا لم يجد بين يديها رسماً لها خاصاً أحب أن يجعل هذا الرسم هو الألف في كل الأحوال ، ومجيئها يابسة ، كما يقال ، أو مهموزة ، يفرق بينها وبين الألف في صورها الأخرى التي تكون فيها للمد أو حروف لين أو علة .

أما عن الرأي الثاني فهو رأي من لا يؤمن بحرفيتها المستقلة ، وما ذهب إليه من كتابتها على حسب حركتها فهروب من هذا الاختلاف الطويل في رسمها .
وأما عن الرأي الثالث فهو الرأي الذي بسطناه من كتابتها على الألف والواو والياء ، لوفق الشروط المتقدمة ، ورسم هذه الأحرف مهموزة للفرق بينها وبين صورها الأخرى التي تكون فيها للمد أو حروف لين أو علة .

ونحن لا ننسى أن الألف تحمل معها دوماً دلالتها على الفتحة ، مما يدعو إلى اللبس إن لم تبين حركة الهمزة كما لا ننسى أن رسم الهمزة مصورة على حرف من الحروف الثلاثة معه هذه الخلافات التي تقتضينا حذراً كثيراً قد يغيب بعضه على الكثيرين .

وقد يكون لنا من هذا كله مخلص ، وهو :

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhril.com

- ١ - أن تكتب على الألف إذا كانت أولاً .
- ٢ - أن تكتب على الحرف الذي يتفق وحركتها ، إذا كانت وسطاً .
- ٣ - أن تكتب على الحرف الذي يتفق وحركة ما قبلها إذا كانت آخراً ، هذا إذا لم يكن ما قبلها ساكن فتكتب مفردة .

أما عن إبداعنا لها حرفاً قائماً بذاته كسائر الحروف ، فهذا شيء قد فات أوانه فيما يبدو إذ هو لا شك سوف يقطع صلتنا بتراثنا المكتوب ، اللهم إلا إذا وفقنا لرسم لا يقطع تلك الصلة الذي انتظمته المعاجم العربية .

الهمزة لغة

من الحروف المفردة في العربية ما له مدلول الكلمة وهذا ما يختص به فرع من

فروع العربية ، وهو علم اللغة ، وهذه الحروف المفردة ذات الدلالة ؛ هي :
الهمزة - الألف ، وهو ذلك الحرف الهادي الممتنع الابتداء به ^(٢٠) - الياء -
التاء - السين - الفاء - الكاف - اللام - النون - الهاء - الواو - الياء .

ومما ذكرته المعاجم اللغوية وما ينساق مساقها ، للهمزة

١ - مجيئها للمضارعة ، مثل : أنصر .

٢ - مجيئها للتعدية ، مثل : أجلس ، من : جلس ، اللازم

وهذا وذاك قد يندرجان تحت النحو ، غير أنها أيضا ذاتا دلالة لغوية .

٣ - للزوم في بعض الأفعال المتعدية ، وهذا محفوظ في أفعال بعينها أحصاها الفيومي في
المصباح المنير فإذا هي أربعة عشر فعلا ، منها :

(أ) أجفل الطائر ، في : جفلته .

(ب) أقشع الغيم ، في : قشعته .

٤ - مجيئها في أفعال لازمة دون أن تعدى ، وذكرت المعاجم من هذا جملة ، أسوق
منها :

(أ) بدأت ، وأبدأت .

(ب) بل من مرضه ، وأبل .

٥ - مجيئها في أفعال متعدية دون أن تزيد في تعدى ، وقد ذكرت المعاجم من هذا
جملة ، أسوق منها :

(أ) باع المتاع ، وأباعه .

(ب) بر الله حجه ، وأبره .

٦ - مجيء همزة أفعال :

(أ) للتعريض ، مثل : أقتله ، إذا عرضته للقتل .

(ب) للصيورة ، مثل : ألحم فلان ، إذا صار ذا لحم ، وهو هنا صاحب ما

اشتق منه وأخبث فلان ، إذا صار ذا أصحاب خبثاء ، وهو هنا صاحب شيء هو

صاحب ما اشتق منه وأحصد الزرع ، أي جان أن يحصد ، وهذا من الصيرورة

أيضا ، فمعناه : صار إلى وقت يستحق أن يحصد فيه .

وأصبح ، أي صار في الصباح ، وهذا من الصيرورة أيضا إذ معناه : دخول
الفاعل في الوقت المشتق منه .

وأنجد ، أي وصل إلى نجد ، وهذا من الصيرورة ، إذ معناه : صار إلى المكان
الذي هو أصله .

وأعشر ، أي وصل إلى العشرة ، وهذا من الصيرورة أيضا ، إذ معناه : صار
إلى العشرة .

٧ - للاتيان ، مثل : أفصح النصارى ، إذا جاء فصحهم .

٨ - للوجود على صفة ، مثل : أبخلته ، أي وجدته بخيلا .

٩ - للسلب ، مثل : أشكيت ، أي أزلت شكواه .

١٠ - للدعاء ، مثل : أسقيته ، أي دعوت له بالسقيا .

١١ - للالزام ، مثل : أفرضت ابل فلان ، إذا وجبت فيها الفريضة .

١٢ - للاكثار ، مثل : أضب يومنا ، أي كثر ضبابه .

١٣ - للمطاوعة ، مثل : فطرته فأفطر .

١٤ - للتفضيل ، مثل زيد أفضل من عمرو .

١٥ - للتعجب ، مثل ، ما أحسن زيدا ، وأحسن يزيد .

١٦ - للوصفية ، مثل : الأحمر .

١٧ - للدلالة على عيب ، مثل : الأعرج .

١٨ - لنداء القريب ، مثل : أحمد .

١٩ - للاستفهام ، مثل : أحق هذا (٢١) .

هذه معان للهمزة استقصاها المستقصون ، وما أظنهم أحصوها كلها ، فهو كما
ترى اجتهاد وهذه المعاني كلها خاصة بما جاء على وزن (أفعل) لا تعدوه إلى غيره من
الأوزان .

ثم إن الهمزة فيها - أي في هذا الوزن - أولى ، لا حشوا ولا اخرا ، فهي ذات
معنى إذا جاءت أولا ، أما إذا جاءت حشوا أو اخرا فهي حرف من بقية الكلمة ، وكذا
الحال في بعض الحروف ذات الدلالة مثل : الياء والتاء ، والسين ، واللام .

وثمة دلالات أخرى للهمزة حشواً و آخراً ستجىء عند الكلام على الهمزة نحواً
وصرفاً ، ولكننا نشير إليها لitem العرض .

فالهزمة تجىء آخراً للتأنيث كما في حمراء

وتجىء وسطاً و آخراً ، مبدلة كما في : نائل ، وكساء .

وسترى مع الكلام على الهمزة قراءة أوضاعاً كثيرة لها حين تحقق ، وحين
تخفف ، وحين تسهل وحين تضعف .

وتورد المعاجم غير هذا للهمزة فيذكرون لها حلولها محل حروف ، منها :

١ - الحاء ، فيقال في : (حتى) : أتى .

٢ - والعين ، سواء كانت أولاً أو وسطاً ، و آخراً ، فيقال :

أباب ، في : عباب .

واستأديت ، في : استعديت .

والشمىء لونه ، في : الشمع .

٣ - والهاء ، فيقال : أياهات ، في : هيهات .

٤ - والياء ، فيقال : قطعت أديه ، في : قطعت يديه .

وكذا تذكر المعاجم لها من المعاني :

أنها تجىء للوقوف في آخر الفعل ، فتقول :

(أ) قولىء ، للمرأة .

(ب) قولاً ، للثنين .

(ج) قولؤ ، للجمع .

وفي آخر الاسم ، تقول : هذه حبلاً ، بدلاً من حبلى .

وفي الضمير ، فتقول : هو يضربها ، بدلاً من يضربها .

وكذا ذكرت المعاجم أنه ثمة همزة تسمى همزة التوهم ، فيهمزون ما لا همز فيه

لأدنى ملابسة ، فيقولون : رثايت الميت ، حملاً على رثايت اللين .

ترى كيف أسهمت الهمزة في اللغة هذا الاسهام .

لقد كانت حرفاً مخرجه من أقصى الخلق ، كما عرفت قبل ، وكان لهذا شأنه

نطقاً ، والناطق الأول كان أميل إلى الجهر منه إلى الهمس الذي كان هذا الحرف ،
أعنى الهمزة ، أطوع له من غيره وأسرع على لسانه ، فعندما كان يغن له أن يحور في مدلول
لفظ ، وكان هذا التحوير يقتضيه استخدام حرف ، كانت الهمزة أسرع إلى لسانه من
غيرها من الحروف ، ولا سيما أن الحروف ذات منطوق مكيف على حين كانت الهمزة
ذات منطوق غير مكيف ، ومن هنا كان هذا التبادل بينها وبين غيرها من الحروف
القريبة منها مخرجاً ، ثم إنها إلى هذا كانت طيبة مرنة يميلون بها كل ممال ، كما ستري في
القراءات .

الهمزة بلاغة

قد تقدم عند الكلام عن الهمزة لغة أن من معانيها الاستفهام .

وهذه الهمزة ، أي همزة الاستفهام من القوة بمكان .

فقد تبقى لها دلالتها ، وهي محذوفة ، ومن هذا قول عمر بن أبي ربيعة :

فو الله ما أدري وإن كنت دارياً بسبع رمين الجمر أم بثمان

أراد : أسبع . <http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

وكذا قول الكميت الأسدي :

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب

أراد : أو ذو الشيب يلعب

وكذا قول المتنبي :

أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا والبين جار على ضعفي وما عدلا

أراد : أأحيا .

وهذا ما لا يتحقق مثله لحرف آخر إلا مع إشارة دالة ، كما في (واو / رب)

٢ - وتجيء للسؤال :



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

بكر بن طفيل وثالثها رسالة فلسفية كتبها شهاب الدين السهروردي .

هذه النظائر لحي بن يقظان تتشابه في التسمية فقط ، وتختلف في ما عدا ذلك سواء من حيث البناء الفني أم القصد والغاية ، فحي بن يقظان لابن طفيل وان اتبعت بأعمال فنية لاحقة صورت مناخا مشابها وتعاملت مع شخصيات شبيهة^(٤) الا ان غايتنا من هذه الدراسة كما ورد في مقدمة الجزء الاول منها الذي عالج طرزان ليست دراسة مقارنة تعنى بمدى التشابه والاختلاف في هذه الاعمال . وفيما اذا استندت احداها الى الاخرى واستفادت منها ، واخذت عنها ، فاقتدت طريقها او حادت عنه الى هذا الحد او ذاك وانما دراسة العمل نفسه في مرحلته التاريخية - بكل معطياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في ما يريد ان يقول تصريحها ، او تلميحها والى اي مدى كان نضج المرحلة مؤاتيا للتعبير عنها .

لكننا ونحن نتعامل مع شخصية حي بن يقظان لابن طفيل نجد من المفيد ان نحيل القارئ الى ملحق في نهاية الدراسة يحتوي تلخيصا للامال التي حملت العنوان نفسه ، لابن سينا والسهروردي كما نحيله الى اعمال اخرى وردت فيها شخوص بالاسم ذاته او تشابهت فيها بعض الاحداث في كثير او قليل .

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

« ذكر سلفنا الصالح - رضي الله عنهم - ان جزيرة من جزر الهند التي تحت خط الاستواء وهي الجزيرة التي يتولد بها الانسان من غير ام ولا اب ، بها شجر يثمر نساء ، في هذه الجزيرة تولد حي بن يقظان ذاتيا على رواية وقذف الموج بالصندوق الذي وضعته امه فيه الى هذه الجزيرة على رواية اخرى يوردهما كليهما ابن طفيل في تحديد تولد ونشأة حي بن يقظان .

في الرواية الاولى تولد حي يقول : ان بطنا من جزيرة عند خط الاستواء تخمرت فيه طين على مر السنين والاعوام حتى امتزج فيها الحار بالبارد والرطب باليابس امتزاج تكفاؤ وتعاقل في القوى وكانت هذه الطينة المتخمرة كبيرة جدا وكان بعضها يفضل بعضا في اعتدال المزاج والتهيو لتكون الامشاج ، وكان الوسط منها اعدل ما فيها واثمر بمزاج الانسان ، فتمخضت تلك الطينة ، وحدث فيها شبه نفاخات الغليان لشدة

لزوجتها وحدث في الوسط منها لزوجة ونفاخة صغيرة جدا منقسمة بقسمين بينهما حجاب رقيق مملثة بجسم لطيف هوائي في غاية الاعتدال اللائق به فتعلق به عند ذلك الروح الذي هو من امر الله تعالى^(٥)

حي والظبية

وعلى اعتبار ان قولاً كهذا في تولد الانسان كان كفيلاً بان يؤدي بصاحبه الى التهلكة لاتهمه بالكفر في بيئة دينية كالتي عاش فيها ابن طفيل حتى مع قوله - فتعلق به عند ذلك الروح الذي هو من امر الله تعالى - لذلك كان عليه ان يجد وسيلة يحمي بها ويدفع عن نفسه تهمة ان يرمى بالكفر والالحاد ، فأورد الرسالة الثانية لتولد حي والتي تقول ان حي هو ابن لرجل يدعى يقظان كان يروم الزواج من قريبته واخت الملك سرا على مذهب جائز عند اهل تلك الجزيرة وحملت منه ، فوضعت حياً ، واذ خشيا من افتضاح امرهما وضعته امه في تابوت احكمت زمه بعد ان اروتها من الرضاع والقتة في البحر حيث حطت به الامواج على الجزيرة التي عاش فيها وصادف وصوله الى تلك الجزيرة وجود ظبية شاردة تبحث عن وليدها الذي ا فقدته فسمعت صوته والقمته حلمتها واروته من لبنها تفريعاً لشحن الحنان الذي كانت تكنه لوليدها الضائع .

ينشأ حي في رعاية الظبية ، يتبعها حيثما ذهبت فتطعمه من ثمار الاشجار وتورده الماء فتسقيه وقد تعلم من حياته معها في قطع الطباء محاكاة اصوات الحيوان ، ثم رأى انها كاسية يالابار والاشعار والريش ، ولها ما تدافع به عن نفسها من قرون وانياب وحوافر فاصطنع لنفسه كساء من اوراق الشجر واستعان بعصى للدفاع عن نفسه ، وقد سبب له موت امه الظبية قلقاً وحيرة اذ لم يفهم ما الذي حدث عندما ناداها فلم تجب وبقيت ساكنة من غير حراك مما ادى به الى البحث عن سر الحياة والموت في الجسد الحي ، وعبر رحلة الحياة والمعرفة لحي على جزيرته يكتشف النار يستخدمها في الاضاءة والتدفئة ويزداد اتقاناً لوجوه معاشه فيكتسي بجلود الحيوانات ويهتدي الى استعمال الخيوط المتخذة من الشعر والقنب والى البناء فيقيم لنفسه بيتاً

ونحننا ويدجن انواع الحيوان فيستفيد منها ان في الصيد او في الغذاء وهو الى جانب ذلك مهتم بمحاولة فهم كل ما حوله من ظاهرات وكائنات حية فعرف ان ما حوله ينقسم الى حيوان ونبات وجماد وانها جميعا تتحرك على اختلاف في انواع الحركة وتأمل الاجسام فوجد ان كل جسم يتألف من معنى الجسمية (المادة) ومن فعل زائد على الجسمية (الصورة) وان الاجسام تدرك الحواس واما المعاني الزائدة عن الجسمية فتدرك بالتأمل العقلي .

تعاقب الصور

ولما كان الاختلاف بين الاجسام اختلافا في الصورة وليس في الجسمية صرف اهتمامه الى الصورة فتفكر في المادة الواحدة كيف تتعاقب عليها الصور العديدة كالماء يصبح ثلجا وبخارا ، وامعن النظر في الاجرام السماوية وفي العالم بمجمله : هل هو محدث ام قديم ، هل حدث بعد ان لم يكن ام انه كان موجودا فيما سلف ولم يسبقه العدم وتتواصل محاولة البحث والمعرفة التي يقوم بها حي عبر سلسلة من الاسئلة ومحاولة الاجابة والتمحيص فيها على مختلف وجوهها ومحاکمتها لاشباعها بحثا للوقوف فيها على وجه مرجح او الانحياز اليه عبر مداورة ذكية يترك فيها لعقل ولبصيرة القارىء مهمة التقاط ما يريد قوله دون المطالبة بمزيد ايضاح او تفصيل - القول الاول -

بعد هذا كله يلتقي حي بابسال ، وهو رجل من اهل الباطنة هجر الجزيرة المجاورة المأهولة بجملة من الملل التي تأخذ بدين صحيح وجاء الى هذه الجزيرة التي فيها حي دون علم به طلبا للعزلة وبعدا عن الناس . وكان يحكم تلك الجزيرة رجل يدعى سلامان وهو من اهل الدين الا انه لا يميل الى الغوص على المعاني بل يأخذ بظاهر النصوص شأنه في ذلك شأن اهل الجزيرة التي يحكمها . وكان في هذا مخالفا لابسال الذي كان يقف في صف اعمال العقل والتأويل وعدم الاكتفاء بظاهر الامور وقد كان اختلافا هو السبب في طلب ابسال للعزلة .

بعد لقاء حي بأبسال يعلمه هذا اللغة ، ويحكي كل منهما للآخر ما كان من امره

ويتفقان على الذهاب سوية الى جزيرة ابسال عل حي ينجح في هداية الناس الى الحقائق الكبرى التي لم يختلف عليها مع ابسال ، لكنها يفشلان في ذلك فيعودان الى جزيرتهما .

الظروف المحيطة

ان دراسة حي بن يقظان في موقفها المعرفي من الوجود وما اسهمت به من محاولة الاجابة على العديد من المسائل الفكرية الهامة يوجب علينا ان نعرف بشكل مكثف سريع الى الوضع السياسي والفكري للمرحلة التي ولد فيها هذا العمل بالاضافة الى ضرورة معرفة الملامح الاساسية لفكر ابن طفيل وموقعه في منظومة الفكر العربي الاسلامي حين حاول الخليفة الناصر ١١٨٠ - ١٢٢٥ م يائسا للممة الخلافة واعادة وحدتها كان العصر قد استنفذ افاق المحاولة حيث ان اتجاهات الانفصال الاقطاعية في الداخل وهجمات الصليبيين واخيرا القبطية الاقطاعية المدمرة لهولاكو قادت مجتمعه الى سقوط المجتمع العربي الاسلامي الوسيط بأفأقه التطورية الخصيصة^(٦) ، وما رافق هذه العملية من ارتداد واسع عن العلوم الطبيعية والفلسفة والعقل ومن سيادة للنزعة الانعزالية والهروبية والتقصية الجامدة والتأويل الغيبي .

ففي الوقت الذي اسلم فيه الفكر الفلسفي عموما في المشرق العربي والعقلاني خصوصا القياد للاعقلانية والجبرية والالانسانية بمعنى ادق اخذ الفكر فيه يدخل عالم الوهم كان في المغرب العربي واقع جديد على صعيد الفكر كما هو الحال على صعيد المجتمع وقد بدأ هذا الواقع يكتسب مقومات بنيانه منذ عهد الخليفة الأموي - الحكم الثاني ٩٦١ - ٩٧٦^(٧) .

لكن المنجزات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي تحققت في الدولة تعرضت للعديد من الضربات من خلال التواطؤ مع الامراء الاقطاعيين وسارت هذه المنجزات في اتجاه التلاشي تحت الضغط المتنامي لاتجاهات التمزق والانفصال وقد بلغ هذا التمزق حدا تحولت الدولة فيه الى اكثر من عشرين امارة سميت بدول الطوائف .

لم يستمر حكم دول الطوائف الاقطاعية طويلا حيث سقط على ايدي المرابطين .

المرابطون والموحدون

اقام المرابطون في اسبانيا ومراكش دولة مركزية ارستقراطية قبلية وهم وان احتفظوا بالمكتسبات الاقتصادية والثقافية لاسلافهم العرب الاسلاميين ولم يعرضوا للضياع والتلاشي فانهم لم يطوروها باتجاه الامام بشكل ملحوظ بل انهم وفي حالات وحقول معينة مارسوا دورا سلبيا .

سقط الحكم المرابطي عام ١١٤٧ م على ايدي سلالة اخرى تميزت باتجاهاتها الاجتماعية والاقتصادية المفتحة المتقدمة ، وتفكيرها المتحرر وهي سلالة الموحدين .

وقد كان تأسيس سلطتهم وتطورها ذا اهمية جوهرية بالنسبة الى احياء وتطوير حضارة الاقتصاد النقدي والتجارة ذات الحجم العالمية ويؤكد الدكتور طيب تيزيني في كتابه مشروع رواية جديدة للفكر العربي : « ان تنويع الازدهار الاجتماعي - الاقتصادي والثقافي لاسبانيا العربية الاسلامية قد تم تاريخيا في عصر الموحدين » .

الا انهم ارغموا بعد حكم دام ستة عقود على مواجهة نهايتهم نتيجة النزاعات المستمرة مع الدويلات المجاورة والموحدة عسكريا وتحت ضغط اتجاهات التمزق والانفصال الاقطاعي الداخلية .

ونستطيع القول بان المجتمع العربي في المشرق والمغرب احتوى ثلاثة انماط اجتماعية اقتصادية هي الاقطاع والبرقيق والبرجوازية الاولى المبكرة^(٨) .

وانطلاقا من هذا الواقع كانت امكانية الردة والعودة الى الوراء لصالح الاقطاع واردة دائما .

ان اتلاف كتب خزانة قرطبة واحراق مكتبة ابن رشد ونفيه فيما بعد يعتبر واحدا من المؤشرات على الصراع الذي كانت تدور رحاه بين الاتجاهين الاجتماعيين

والفكرين الكبيرين انذاك (الاقطاعي الغيبي) و (البرجوازي العقلاني) .

وجاء ابن طفيل

في هذه المرحلة جاء ابن طفيل وهو ابو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل .

ولد في وادي اش على مسافة ثلاثة وخمسين كيلو مترا الى الشمال الشرقي من قرطبة^(٩) ولا يعرف تاريخ ميلاد ابن طفيل وانما على الأرجح انه ولد في السنوات^(١٠) العشر الاولى من القرن الثاني عشر الميلادي اي بين سنة ٤٩٤ - ٥٠٤ هـ . ولا تمدنا كتب التاريخ واقوال المؤرخين بالشيء الكثير عن حياة ابن طفيل واخباره لكنها تؤكد انه درس الطب وبرع في الفلك والرياضيات ونظم الشعر وقرأ الفلسفة حتى ذاع صيته^(١١) .

يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي : [لا نعرف ايضا عن شيوخه ولا اين تلقى العلم غير ان مراكز العلم في ذلك الوقت كانت على الاخص قرطبة واشبيلية^(١٢) . غير ان عبد الواحد المراكشي في كتابه المعجب في تلخيص اخبار المغرب وهو اوسع مصادرنا عن حياة ابن طفيل يقول : انه قرأ على جماعة من المتحققين بعلم الفلسفة منهم ابو بكر ابن الصائغ المعروف بابن باجة وغيره لكن ابن طفيل وفي حي بن يقظان ينفي لقاءه بابن باجة اذ يقول وهو يشير الى ابن باجة « فهذا حال ما وصل اليه من علم هذا الرجل ونحن لم نلق شخصه »^(١٣) .

ويؤكد الدكتور عبد الرحمن بدوي بان ابن طفيل لم يكن تلميذا بالفعل لابن باجة وان كان من غير شك قد تأثر به من الناحية الفلسفية تأثرا بارزا^(١٤) .

ويذكر البطروجي تلميذ ابن طفيل بانه كان قاضيا ودرس العلوم العقلية والطب وقد مارس مهنة الطب في غرناطة وقد انفرد ابن ابي زرع في الروض القرطاسي وفي الجزء الاول من كتابه من بين المؤرخين بالقول بان ابن طفيل كان وزيرا لابي يعقوب

يوسف . الا ان ما يمكن ان يكون اكثر صحة ان ابن طفيل كان الطبيب الاول لابي يوسف خاصة ان المؤرخين الذين ذكروا الكثير من التفاصيل عن حكم ابي يوسف لم يذكروا بان ابن طفيل كان وزيره . ولعل حبه واطلاعه على العلوم العقلية هما اللذان قرباه من السلطان ابي يعقوب مادام هذا مشاركا في الحكم مقربا لاهله^(١٥) .

ويقول فيه الدكتور بدوي : « كان ابن طفيل شاعرا روى طرفا من شعره المراكشي في المعجب نقلا عن ابن يحيى كذلك نشر له عز الدين غوس قصيده سياسية في العدد الاول من مجلة الدراسات الاسلامية في مدريد وله مؤلفات في الطب وقد ذكر لسان الدين بن الخطيب انه الف في الطب مجلدين وذكر ايضا ابن ابي حبيقة ان لابن رشد كتابا عنوانه مراجعات ومباحث بين ابي بكر بن الطفيل وبين ابن رشد في رسمه للدواء في كتابه الموسوم بالكلديات ويذكر لسان الدين بن الخطيب في « مركز الاحاطة » ان لابن طفيل ارجوزة في الطب^(١٦) .

كذلك له مؤلفات في الفلك يشير ابن رشد الى احدها في شرحه الاوسط على كتاب الاثار العلوية لارسطو طاليس ويقول ان ابن طفيل لم يكن راضيا عن نظام بطليموس وبانه اقترح نظاما جديدا .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ويشير تلميذه البطروجي الى هذا ايضا في مقدمه كتابه الشهير في الفلك فيقول : ان ابن طفيل ذكر له انه عثر على نظام فلكي وتفسير لحركات الافلاك على نحو مخالف لما قاله بطليموس استغنى فيه عن الدوائر الداخلة والدوائر الخارجة غير اننا لا نعلم تفصيلات عن هذا النظام .

وقد ذكر المراكشي ان لابن طفيل رسالة في النفس وقد رآها بخط يده الا ان هذه الرسالة فقدت ويشك غوثيه في رواية المراكشي ويظن ان الامر قد اختلط عليه بين حي بن يقظان وبين ما ظنه المراكشي رسالة في النفس ويخالف الدكتور عبد الرحمن البدوي هذا الرأي اعتمادا على ان المراكشي ذكر حي بن يقظان فقال : « فمن رسائله الطبيات رسالة سماها حي بن يقظان غرضه فيها بيان مبدأ التنوع الانساني على مذهبهم وهي رسالة لطيفة الجرم كبيرة الفائدة في ذلك الفن ولا يقدح في روايته عدم الدقة في

تلخيص موضوع حي ابن يقظان . .

والمراكشي ربما رأى هذه الرسالة في النفس بخط المؤلف لدى ابنه الذي كانت تربطه به معرفة جيدة وعنه روى بعض شعر ابن طفيل بمدينة مراكش عام ٦٠٣ هـ ولا بد ان يكون ابنه يحيى هذا هو الذي دله على هذه الرسالة ولا يمكن طبعا ان يخطئ الابن فلاميزها عن رسالة حي بن يقظان^(١٧) .

وبعد موت ابي يعقوب ابقى ابنه المنصور ابن طفيل في مكانته السابقة الى ان مات في مراكش ١١٨٥ م^(١٨) .

الرمز والتقنية

ان السمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمجتمع في المرحلة التي عاش فيها ابن طفيل وكنت في ظلها - حي بن يقظان - تشير لنا بوضوح الى اهمية الدور الذي لعبه الرمز والتقنية في تحديد اطار التحرك للمفكرين الذين اعتمدوا اعمال العقل ورفضوا الجمود والتأويل الغيبي يقول الدكتور طيب يثريني « ان المفكر من ذلك الطراز لم يكن ليستطيع الافصاح عما ارتآه افصاحا تاما^(١٩) وعلى هذا الاساس ان من لا يأخذ هذا الواقع التاريخي الخاص بعين الاعتبار يجد نفسه مكتوف اليدين تجاه ظواهر فكرية عديدة في تاريخ الفكر العربي الاسلامي الوسيط مثل قصة - حي بن يقظان - والذي يثير الانتباه ان ابن طفيل نفسه قد قال لنا انه لم يستطع قول كل شيء اراد قوله فعلا : « ان من الامور الصعبة ان يظفر المرء بحقائق الامور الدقيقة ، ومن ظفر بشيء منه لم يكلم الناس الا رمزا »^(٢٠)

وينبغي الاشارة هنا الى ان ابن طفيل لجأ الى الرمز بالرغم من الحماية التي اكتسبها بحكم عمله وكونه مقربا من ابي يعقوب لم يكن قادرا في ظل الحملات الارهابية التي كانت تشنها بين الحين والآخر القوى المتعصبة التي كونت عن وعي منها او غير وعي الواجبة الشرعية للارهاب الاقطاعي انذاك .

وقد شكل هذا التناقض المتنامي انذاك بين الحكمة والعلوم الطبيعية من طرف والجمود والرجعية الفكرية من طرف اخر شكل هنا التناقض تعبيراً غير مباشر عن الكفاح الذي دارت رحاه على نحو مكشوف ومستعر بين الارهاصات الاجتماعية البورجوازية المبكرة والجذور الاقطاعية العميقة في الحياة العامة للمجتمع انذاك .

وفي هذا الصراع كانت القوى المعادية للتقدم الاجتماعي والفكري قد فقدت الكثير من مواقعها فكان رد الفعل عنيفاً وقد نجحت هذه القوى في تلك الحقبة في توجيه اجراء انتقامي الى المفكر العملاق ابن رشد تلميذ ابن طفيل .

ولقد شكل ابن طفيل واحدة من الحلقات الهامة في المنظومة الفكرية التقدمية عبر تطورها من خلال معطيات الواقع العربي الاسلامي في مشرق الوطن العربي ومغربه والتي كان المعتزلة والفارابي وابن سينا من اعلامها ووصلت الى ذورتها على يد الفيلسوف العربي الكبير ابن رشد .

من خلال هذا الموقع الفكري لابن طفيل وعبر هذه المنظومة الفكرية وما جسده من مواجهة عقلانية وجريئة من القوى المعيقة للتطور نحاول الان ان نلقي الاضواء على شخصية حي بن يقظان . <http://Archivebeta>

اضواء على حي

في جزيرة من جزر الهند التي تحت خط الاستواء والتي شهدت رحلة حي المعرفة سواء بتولده الذاتي على الرواية الاولى أم بمجيئه من جزيرة مجاورة على الرواية الثانية يواجه حي عالمه حيث تبدأ رحلة الانسان والتكون التاريخي للمعرفة من خلال التماس والعلاقة مع الواقع الموضوعي .

هذا هو الاطار العام الاسطوري ان شئنا او الرمز الذي يضعنا فيه ابن طفيل منذ البداية ليمد النسخة المتاحة قدر الامكان للتعبير عن طروحاته الفكرية .

في هذه الجزيرة يقال انه يتولد الانسان تولدا ذاتيا وفي هذه الجزيرة لا اديانا بعد

قد ظهرت ولا مفاهيم او افكارا قبلية . وفي هذه الجزيرة استطاع حي ان يعيش ويتعلم ويصل الى قمة المعرفة وحيدا . انه الانسان في مواجهة عالمه منذ البدء .

لقد خطط ابن طفيل لتحريك شخصية بحرية دون اضطرار منه للاصطدام بعقبات ملازمة لتطور الجماعة والمجتمعات ترغمه على اخذ موقف منها ، معها او ضدها .

لقد بعد منذ البدء عن الاحكام الجاهزة وسلك سبيلا شبيها بمعنى ما بالبحث الديكارتي من حيث الشك بكل الاحكام وفي حالتنا هذه الغاء كل الاحكام من حيث افتراض عدم وجودها والبدء بالسير على طريق المعرفة من اوله . انه الغاء لكل ما سبق وبدء جديد .

نتوقف اولا عند تسميات شخوص العمل - افضل استخدام كلمة عمل فيما يتعلق بحي بن يقظان على كلمتي قصة او رسالة اذ ان لكل تسمية مناصرون وحجج وليست هذه غاية الرسالة على اهمية هذا البحث^(٢١) - لقد عمد ابن طفيل الى التجريد والرمز كما ذكرنا ، وهذا الجنوح الى التجريد الرمزي للانسان عن المجتمع في شخصية حي ان هو الا توسيع لفسحة الحركة الفكرية ، اونوع من العزل المخبري العلمي اذا جاز التعبير للعقل بتجريده مبدئيا من كم هائل من المعرفة والافكار الكثيرة والمتناقضة التي انتجها عبر مسيرته الحياتية والاجتماعية والتي احتوت بالتالي ركاما من الضلالات والاوهام ، وعلى هذا فهو تجريد لا يعني تكريسا او دعوة للانسلاخ عن المجتمع فالجمع فيما بعد بين حي واسال^(٢٢) القادم من الجزيرة المأهولة بالسكان اي الانسان في المجتمع والذي يدين بملة صحيحة ويخوض صراعا في جزيرته من اجل الدفاع عن دور الفكر والوقوف في وجه الغائه كما تبغي النصية الجاهدة ان الجمع بين اسال هذا وحي واتفاقها على الوصول الى حقائق مشتركة يوضح هذه الغاية تماما . ولندفع تأويلنا خطوة اخرى الى الامام .

دلالات الاسم

حي : هذا الاسم الذي بدأ به ابن سينا واعطاه ابن طفيل مدلوله ومداه الواسع الاتراءى لنا قوة الدلالة وكثافة التعبير في اختياره اسما للشخصية الاساسية في العمل وبما يمثل به بشقيه الهامين للحياة والاطلاق .

ابن يقظان : على صيغة اسم الفاعل وقد حملت في ثناياها ديمومة اليقظة والحركة والانتباه وإعمال الفكر كبدائل للجمود والغفلة والغاء الفكر .

اسال او ايسال وقد وردت بشكليها فاسال قريبة جدا او هي اسال بعينها مشتقة من السؤال وما يعنيه من محاولة فهم مستدعية بكل ما يحويه السؤال من غنى معرفي ولا غرابة فلقد كان السؤال دائما اهم من الجواب في البناء المعرفي الانساني وعندما يتوقف السؤال تنتهي المعرفة وينتهي الانسان .

لقد مثل اسال في « حي بن يقظان » الشخصية الراضية للاخذ بظواهر الامور وللحرفية الجامدة وحتى في حال اخذنا للكلمة على انها ايسال فلقد ورد في معجم بن منظور مادة بسلة ان فيها تحمله من معانيها الشجاعة والغضب وهذا غير بعيد عن الشخصية التي بين ايدينا .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

سلامان : وهو اشتقاق يقترب من سلام ومسألة ومهادنة وقبول بما هو سائد ومتعارف عليه وهذا غير بعيد ايضا عن موقف هذه الشخصية في العمل الذي بين ايدينا مما يدل على ان التسميات لم تأت مصادفة وانما اختيرت عن معرفة ودراية وغاية تتفق ما ما اراد ابن طفيل ان يوحي اليه .

عبر رحلة حي بن يقظان نستطيع ان نتابع ناظما متسقا لفكر ابن طفيل العقلاني في مواجهة الفكر الغيبي السائد عبر بعض المسائل التي اثارها متابعا حي في رحلته المعرفية .

الانسان في مواجهة عالمه الموضوعي بدءا من التأثير السلبي بالطبيعة والحصول على الطعام جاهزا كما تقدمه مرورا بالتدخل الانساني القائم على العمل وتغيير الطبيعة

والفعل فيها وما يرافق ذلك من نمو للوعي عبر جدليته مع الواقع .

لقد لاحظ حي « جميع الاجسام التي في عالم الكون والفساد من الحيوانات على اختلاف انواعها والنبات والمعادن واصناف الحجارة والتراب والماء والثلج والبرد فرأى لها اوصافا كثيرة وافعالا مختلفة وحركات متفقة ومتضادة وانعم النظر في ذلك فرأى انها تتفق ببعض الصفات وتختلف ببعض وانها من الجهة التي تتفق بها واحدة ومن الجهة التي تختلف فيها متغايرة ومتكثرة (٢٣) .

يقول د. طيب تيزيني : «لقد استطاع ابن طفيل ان يثير بشكل عميق واحدة من اعقد القضايا الفلسفية وهي وحدة العالم المادي فخلال عملية العمل الذي يمارسه حي وبمساعدة ادوات العمل التي انتجتها هو والقوى الطبيعية التي اكتشفها وكذلك من خلال تقليد الحيوانات والظواهر الطبيعية . يستطيع حي ان يطور بشكل خلاق سلوكه العملي وقدراته الفكرية النظرية وهذا يتم على يد حي دون تقديم اي عون (٢٤) .

وينظر حي (الى الشيء الذي اتحد به عنده النبات والحيوان وكذلك الاشياء الجامدة فيرى انه جسم [ما] مثل هذه الاجسام له طول وعرض وعمق وهو اما حارا واما باردا كواحد من هذه الاجسام التي لا تحس ولا تتغذى وانما خالفها بأفعاله التي تظهر عنه بالالات الحيوانية والنباتية لاغير) . . ولعل تلك الافعال ليست ذاتية وانما تسري اليه من شيء اخر ولو سرت هذه الاجسام الاخرى لكانت مثله . (٢٥) .

وحدة العالم المادي

وبطبيعة الحال لم يكن لابن طفيل ان يدنو من مفهوم الحركة الفيزيائية او الكيميائية او البيولوجية الذي تحقق بعده بعدة قرون وهذا ما جعله يلجأ على طريقة الماديين الميكانيكية الى القول بنفي الفصل الذاتي عن الاجسام اللاحية لكي يستطيع تفسير الف الفرق بينها وبين الاجسام الحية (٢٦) لكن ابن طفيل يصل من خلال شخصية حي الى نتيجة جوهرية وهي ان (الاجسام كلها شيء واحد حيها وجمادها ،

متحركها وساكنها . . وان الوجود كله شيء واحد (٢٧) .

وهذه النتيجة التي خلص اليها بوحدة العالم المادي رغم تنوع مظاهره هامة جدا اذا يحقق على هذا الطريق تمسكا كبيرا في رؤيته للوجود المادي من حيث هو لا بدائي ولا نهائي ، ومن حيث هو يمثل وحدة شاملة عضوية وقد حقق بذلك في هذه المسألة تجاوز الـيس فقط للفارابي وانما ايضا لابن سينا وذلك من خلال اسلوب فلسفي يحقق وحدة (المجرد) مع (الحسي) بشكل مثير (٢٨) .

لقد اوصل ابن طفيل بطله حي الى هذا المفهوم عبر سلسلة من التجارب العملية التي يقوم بها ، ليرتفع من المباشر الحسي الى اللامباشر المجرد ، ومن المفرد الملموس الى العام المفهومي . ويرى الدكتور طيب تيزيني ان تاريخية المعرفة تشكل مع وحدة العالم المادية احدى المكتسبات الكبيرة التي حققها الفكر الفذ لابن طفيل في تاريخ الفكر الانساني عموما .

يبحث حي ايضا في مفهوم الصورة والهيولى الارسطيين حيث الجسم يتألف منها وهذا لا يستغني عن الآخر (٢٩) انها يشكلان وحدة لا تنقسم اما الهيولى فهي الطين مثلا في كرة ما واما الصورة فهي التي تشكل الطول والعرض والعمق في هذه الكرة حيث تبقى الهيولى ثابتة على حال واحدة اما الصورة فانها تتبدل وتتعاقب على اوجه كثيرة فالصورة عنده حياة الصورة هي الحركة وهي مرتبطة بالمادة وبالزمان على نحو لا ينفصم . ان (جميع ما على وجه الارض لا يبقى على صورته بل الكون والفساد متعاقبان عليه ابدا) (٣٠) حيث تصبح الصورة اي الحركة المبدأ الحياتي الداخلي للمادة وفي هذا توافق بينه وبين ابن سينا مما يؤكد وحدة واستمرار التيار العقلاني في الفكر العربي الاسلامي .

العالم . . حديث ام قديم ؟

مسألة أخرى هامة وخطيرة يثيرها ابن طفيل على لسان حي عبر رحلته المعرفية حول حدوث العالم أو قدمه (تفكر حي في العالم بجملته هل هو شيء حدث بعد أن لم

يكن وخرج إلى الوجود من العدم أم هو أمر كان موجودا فيما سلف ولم يسبقه العدم بوجه من الوجوه ؟ ! فتشكك في ذلك ولم يترجح عنده أحد الحكمين على الآخر « ذلك أنه كان إذا ازمع على اعتقاد القدم اعترضته عوارض كثيرة . . وإذا ازمع على اعتقاد الحدوث اعترضته عوارض آخر » (٣١).

لذلك فقد حاول الخروج من هذه المسألة على الشكل التالي : « إذا كان - رأي العالم - حادثا فلا بد له من محدث وهذا المحدث الذي أحدثه لم أحدثه الآن ولم يحدثه قبل ذلك ؟ الطارئ طرأ عليه ولا شيء هناك غيره أم لتغير حدث في ذاته ؟ فإن كان فما الذي أحدث ذلك التغير ؟ » (٣٢) .

ويجب على ذلك بالقول : (والعالم المحسوس وإن كان تابعا للعالم الالهي شبه الظل له ، والعالم الالهي مستغن عنه وبريء منه فإنه مع ذلك قد يستحيل فرض عدمه إذ هو لا محالة تابع للعالم الالهي ، وإنما فسادُه أن يبدل لا أن يعدم بالجملة » (٣٣) « وبذلك نطق الكتاب العزيز حيثما وقع هذا المعنى في تغير الجبال وتصييرها كالعهن والناس كالفراش وتكوير الشمس والقمر وتفجير البحار يوم تبدل الارض غير الارض والسموات » (٣٤) .

لا شيء ينشأ من لا شيء هذه المقولة التي يحتويها الفكر اليوناني القديم والتي طورت على يد ابن سينا ثم ابن طفيل ضمن ظروف اجتماعية وفكرية ودينية معقدة تحتوي امكانات الانفجار الايجابي العقلاني والسلبي التسليمي على حد سواء فالقول بحفظ العالم من طرف والتأكيد على فسادُه فقط من حيث تحوله من طرف آخر « إن جميع ما على وجه الارض لا يبقى على صورته بل الكون والفساد متعاقبان عليه أبدا » كل هذا شكل احدى الترسانات التي انطلق فيها الفكر العقلاني ليس فقط في العصر الوسيط العربي الاسلامي بل ايضا الأوروبي في ثورته اللاحقة (٣٥) .

إن انحياز ابن طفيل وقبله ابن سينا إلى مقولة قدم العالم تتضح عبر عرضه للعلاقة بين العالم والاله حيث كلاهما قديم إلا أن « العالم كله بما فيه من السموات والارض والكواكب وما بينها وما فوقها وما تحتها فعله وخلقه وهو متأخر عنه بالذات

وإن كان غير متأخر بالزمان» (٣٦) .

ومن أجل ايضاح هذه المسألة يستخدم المثال التالي : « إذا اخذت في قبضتك جسما من الاجسام ثم حركت يدك ، فإن ذلك الجسم لا محالة يتحرك تابعا لحركة يدك حركة متأخرة عن حركة يدك تأخرا بالذات وإن كانت لم تتأخر بالزمان عنها ، بل كان ابتداءؤهما معا فكذلك العالم كله معلول ومخلوق لهذا الفاعل بغير زمان» (٣٧) « انما أمره إذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون» (٣٨) .

لقد أكد ابن طفيل في عمله الفلسفي هذا على امكان وصول الانسان إلى المعرفة الشاملة عن طريق اعمال العقل والتفكير في مرحلة كانت تحوي في احشائها ارهاصات اجتماعية لبرجوازية مبكرة آخذة في التشكل وجدت تعبيرها من خلال التيار العقلائي الممتد بين المعتزلة وابن رشد وإن سلك سبلا عدة التجأ فيها الى الرمز والتقية في مواجهة التيار الآخر التسليمي والغيبي الذي تبنته ودافعت عنه القوى الاقطاعية ذات الجذور العميقة في الحياة العامة للمجتمع آنذاك .

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhril.com

ملحق

١ - رسالة حي بن يقظان — لابن سينا

حي بن يقظان لدى ابن سينا مختلف تماما في بنائه الفكري عن حي ابن طفيل . فهناك جماعة خرجت في نزهة فيظهر لهم اثناء تجوالهم شيخ بهي الطلعة تقدمت به السن إلا أنه مازال قويا معافى يدعى حي بن يقظان . وكما أراده ابن سينا كان هذا الشيخ الجليل العقل الفعال وأما أفراد الجماعة التي كانت تسير برفقته فهم الحواس والغرائز والشهوات وما أن تكلم هذا الشيخ قال : انك لم تظفر إلا بصحبة الاشرار ويعني بهم (الحواس) ورفاقك هؤلاء لن تفهم منهم إلا الجهل ولن ترقى ذرى الحقيقة إلا

بالتخلص منهم جميعا وفي سعيك لبلوغ الحقيقة سوف تمر بمناطق ثلاث عددها على الشكل التالي ، الأولى منها بين المشرق والمغرب ، والثانية وراء المغرب وتقع الثالثة وراء المشرق .

وحي بن يقظان هو العقل الفعال يهدي الناس إلى الحقيقة والافلاك التسعة .
وإلى العقل العاشر وهو علة كل موجود أما سلامان وابسال فيظهرهما على الشكل التالي على انها شقيقان ترى إسال في كنف اخيه فينشأ عاقلا متأدبا شجاعا تقع زوجة اخيه في عشقه فيأبأها إلا أنها تستطيع الوصول اليه عبر مكيدة منها ، إذا اقترحت عليه زواجه باختها ليكتشف في اليوم الأول لزواجه أنها هي التي تزوجها . فيطلب من اخيه تزويده بجيش يفتح لديه البلدان والآفاق وما أن عاد إلى وطنه بعد غياب طويل معتقد أنها قد نسيتة الا أنها تعاود محاولاتها وبالبحاح أكثر عن سابقة ويظهر لها صدوده . ينقذه طلب أخيه بارساله مجددا كي يترأس جيشا لملاحقة أعدائه إلا أن زوجة اخيه تتآمر مع قادة الجيش عليه حيث خذلوه وترك جريحا على أرض العدو واعتقدوا أنه مات . في هذه الاثناء تمر به طيبة فقدت وليدها فترأف به وترضعه لبنها ولما تماثل للشفاء عاد إلى أخيه كسيرا بعد هزيمته وبمكيدة ثالثة من زوجة الأخ يموت ابسال بالسم الذي وضع في طعامه . حزن سلامان على فقد أخيه وقرر التخلي عن الملك وانصرف إلى العبادة ومناجاة الله حيث كشف له الله حقيقة الأمر فعاد إلى زوجته وسقاها ومن تآمر معها من السم الذي دسوه في طعام أخيه .

٢ - قصة ابسال وسلامان

ترجمة حنين بن اسحق عن اليونانية

في ترجمة ابن اسحق لهذه الرواية عن اليونانية لقصة ابسال وسلامان تظهر على الشكل التالي : هرمانوس بن هرقل ملك مملكة الروم العظيمة الممتدة حتى ساحل البحر مع بلاد اليونان وأرض مصر . وعلى الرغم من اتساع ملكه وقوة سيطرته إلا أنه لم يكن له ابن يزين عليه حياته ويرث عرشه وهذا ما كان مصدر شكواه الدائمة ولما كان

عدم انجابه للولاد بسبب كراهيته الشديدة للنساء أشار عليه أحد حكمائه بأن يأتي بنطفة من صلبه ويرصد لها طالعا مناسبا ويأخذ اناء يجعل النطفة فيها على أن يلزم الحكيم الصبي المرتقب الذي ولد اخيرا باسم سلامان حيث ترضعه شابة جميلة اسمها ابسال يقع في هواها ما أن يبلغ سن الرشد ويتعلق بها على الرغم من نصيح والده بضرورة تركها . ولما حاول الملك قتلها هرب الابن مع حبيبته الى ما وراء بحر المغرب وما أن علم الملك بحالهما حاول ابطال شهوتهما فحاول الابن طلب المغفرة من ابيه لكن الملك اشترط لذلك من ابنه الابتعاد عن ابسال ونظرا لاستحالة تحقيق ذلك القى سلامان وابسال بنفسيهما في البحر فتغرق ابسال وينجو سلامان بمساعدة والده الذي كان على علم بمجريات الامور إلا أن نجاة الابن وغرق حبيبته سببا له حزنا شديدا لدرجة أن اياه اضطر ان يطلب من الحكماء بحل لابنه الذي كاد أن يموت حزنا على ابسال فيرافق واحد منهم سلامان الى مغارة يبتهلان فيها اربعين يوما كي تعود ابسال وهي المدة التي حددها هذا الحكيم إلا أنها لم تعد وانما كان ما يترأى لسلامان طيف امرأة اخرى يعيشها إلا أنه ملأها فيما بعد فاتحه الى الحكمة والملك ولما مات ابوه ورث عرشه . وأودعت قصته مع ابسال بعد موته في الهرمين الذين بناهما ابوه بهذا الشكل تنتهي هذه الرواية .

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

٣ - ذو القرنين

اميليو غرسيه غومس

تشابه الأحداث في قصة ذي القرنين التي وردت في الاساطير الشعبية الاندلسية . فقد عثر اميليو غرسيه غومس على مخطوط بهذا العنوان أرجعها غرسيه إلى القرن الثالث ق . م إذ يحكى أن ملكا من اكثر أهل الارض قوة ومقدرة ما كان يعرف أن نساءه لم تنجب له على كثرتهن إلا ابنة واحدة فبنى لها حصنا فسيحا خوفا من نبوءة العرافين الذين قالوا له إنها ستواجه حياة صعبة وما أن كبرت وعلى الرغم من أنها حبيسة قصرها تقع في هوى أحد الفرسان وتحمل منه وخوفا من الفضيحة ترمي ابنها في صندوق خشبي إلى البحر حيث يحط على شاطئ جزيرة مهجورة فتعطف عليه ظبية

فقدت وليدها فتحن عليه وترضعه لبنها وعبر حياته هذه اكتشف في عقله براعة وقدرة على الخداع واستطاع السيطرة على مجتمع الوحوش الذي ضج بممارساته القاسية حيالها فقررت أن تستشير الافي فنصحتهم بضرورة طاعته لأن الله اعطاه الحكمة والعقل والمعرفة كونه من نسل آدم .

إشارات

١ - وردت في النص - حي بن يقظان - أن لا تطالب مني وقد رأيت تصحيحها والاشارة إلى ذلك في الهامش إذ من غير الثابت انها خطيئة لغوية لابن طفيل نفسه ومن الجائز أن تكون من اخطاء النساخ .

٢ - أحمد امين - حي بن يقظان - دار المعارف بمصر طبعة ١٩٦٦ ص ١٠٧

٣ - اختلف دارسو حي بن يقظان على اعتبار العمل قصة أم رسالة فلسفية فمنهم من قال انها قصة من امثال المستشرق الفرنسي ليون غويته والمستشرق الاسباني غرسيه غومس . ومنهم من اعتبرها رسالة في الفلسفة من امثال الدكتور سامي حاوي .

٤ - روبنسون كروزو - دانييل ديڤو

٥ - أحمد امين - مصدر سابق ص ٦٣ - ٦٤

٦ - طيب تيزيني - مشروع رواية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط دار دمشق ط اولى ص ٣٥٥

٧ - المصدر نفسه ص ٣٨٨

٨ - المصدر نفسه ص ٣٣٨

٩ - مجلة تراث الانسانية المجلد الأول رقم ٣ - آذار ١٩٦٣ - الدكتور عبد الرحمن بدوي / حي بن يقظان

١٠ - دائرة المعارف الاسلامية - الطبعة العربية / مادة ابن طفيل

١١ - الدكتور البدوي مصدر سابق « تراث الانسانية »

١٢ - الدكتور البدوي المصدر نفسه

١٣ - ابن طفيل - حي بن يقظان - طبعة القاهرة - دار المعارف مصر ١٩٦٦ تحقيق أحمد أمين ص ٥٦ - ٥٧ .

١٤ - مصدر سابق د. عبد الرحمن بدوي .

١٥ - مصدر نفسه د. عبد الرحمن بدوي .

- ١٦ - مصدر نفسه د. عبد الرحمن بدوي .
- ١٧ - مصدر سابق د. عبد الرحمن بدوي .
- ١٨ - حسن محمود عباس - حي بن يقظان وربنسون كروزو دراسة مقارنة - المؤسسة العربية للدراسات والنشر طبعة أولى ص ٢٤ .
- ١٩ - طيب تيزيني - مصدر سابق ص ٣٤٠
- ٢٠ - ابن طفيل : حي بن يقظان - دمشق ١٩٦٢ ط خامسة ص ١١
- ٢١ - إحالة للهامش رقم ٣
- ٢٢ - وردت في المخطوطات الاساسية بالاسمين إسال وإسال
- إسال ورد في طبعة ادوار بوكوك اللاتينية ١٦٧١ وطبعة ليون غوتيه ١٩٣٦ وطبعة مكتبة النشر العربي بدمشق ١٩٣٥ وطبعة الدكتور عبد الحليم محمود بالقاهرة .
- إسال انفرد احمد أمين بذكر إسال بدلا من اسال
- ٢٣ - ابن طفيل حي بن يقظان دمشق ١٩٦٢ ط خامسة ص ٣٩ - ٤٠
- ٢٤ - د. تيزيني مصدر سابق ص ٣٥٠
- ٢٥ - ابن طفيل مصدر سابق دمشق ص ٤٢
- ٢٦ - د. تيزيني مصدر سابق ص ٣٥١
- ٢٧ - ابن طفيل مصدر سابق دمشق ص ٤٢
- ٢٨ - طيب تيزيني مصدر سابق دمشق ص ٣٥١
- ٢٩ - ابن طفيل مصدر سابق دمشق ص ٤٩
- ٣٠ - ابن طفيل مصدر سابق دمشق ص ٤٢
- ٣١ - مصدر سابق دمشق ص ٥٢
- ٣٢ - ابن طفيل مصدر سابق دمشق ص ٥٥
- ٣٣ - ابن طفيل مصدر سابق دمشق ص ٨٢
- ٣٤ - ابن طفيل مصدر سابق دمشق ص ٨٢
- ٣٥ - د. تيزيني مصدر سابق دمشق ص ٣٤٧
- ٣٦ - ابن طفيل مصدر سابق دمشق ص ٥٨
- ٣٧ - ابن طفيل مصدر نفسه دمشق ص ٥٨
- ٣٨ - ابن طفيل مصدر نفسه دمشق ص ٥٨



الجزء المحذوف من ملف القضية رقم (١)

شعر / أحمد فراج



مدخل : -

اخأل وجهك إذ ترنوله القمم وعند بابك من جرح الحنين دم
دم الحقيقة لكن كيف نبصره وليس يبصر من في قلبه الظلم ؟
بي كل ما لا يراه الناس من وجع يُبكي الفؤاد . . وان اخفى الانين فم
ياحي يا عدل . . يا تواب . . يا حكم أيسلم المرء والأعداء قد سلموا ؟
ما في السماء وما في الأرض طوع يد جلت وان يستباح القدس والحرم

* * *

تعديل : -

أصدق السيف ان لم يصدق القلم ويغفر القلب أحياناً . . ويتنقم
فلا تقصى رؤى بيضاء . . أرجئها إن المشائق في أعناق من حلموا

وللمي العمرَ أيامي . . . مسافرةً
يطارد الخوفُ أفكاري . . يحاصرني
حبيبي وانتظار الفجرِ أغنيتي . .
لن ينجبَ الفجرَ غير الليلِ موعِدنا
وزورقي بصخور الصمتِ يصطدمُ
حيي . . وفي خاطري الاحلامُ ترتسمُ
حبيبي آه اذ يستعذبُ النغمُ
انتجب الطفلُ أمَ مالها رحم ؟

* * *

اعتراف : -

فتحتُ بابك للفرسان اذ قدموا
وصار لي رايةً خضرا . . ومملكةً
الليل اوشك ان يطوي ستائرَه
هاتِ يمينك مشتاقون من زمنِ
يضمنا العشقُ تحفينا ضفائره . .
ونرسم البسمة الاولى على غدنا
وقد تهاوى على اقدامهم صنمُ
وها يرفرف في أجوائها العلمُ
والشمسُ تشرق والمأساةُ تحتتمُ
والقلبُ ينبض والاشواقُ تضطرمُ
والخوفُ يرحل والتذكُّارُ والألمُ
ونترك الجرحَ للماضي فيلتئمُ

رجاء : -

لا تأخذوا السيْفَ من كفي وحكمتنا
اكون ذبئاً اذا ما ضلت الغنمُ

تحذير : -

خذي حذارك من صمتي انا شجرُ
خذي حذارك مني انني غضبُ
خذي حذارك مني انني رجلُ
جذوره الصمتُ لكن . . طلعه الحممُ
اذا تجلى يكون الدمعُ والندمُ
محارب . . لو بكاه العمرُ ييتسمُ

انا ضبابٌ واعصارٌ وعاصفةٌ وثأرُ شعبٍ بطول الصبر يتسمُّ
اقولُ كن .. فيكون الحبُّ والنعمُ اقول كن .. فيكون الهولُ والنقمُ
ولستُ من تترجى من صمته الحكمُ وما علمتُ سوى بعض الذي علموا
ولستُ من بقضا يسرى به ليرى ولست من بعصاه البحرُ ينقسمُ
لكنني .. ان رأيت الظلمَ يا وطني اكون سيفاً على اعناق من ظلموا

خاتمة : -

لم يصدق الوعدُ ما زالت اميرتنا في القيدِ تصرخ والاطفال قد فطموا
لا تكملوا فالحكايا كلها كذبٌ النصرُ . والفخرُ .. والامجادُ . والكرمُ
خمر الخرافاتِ عشتُ العمرَ أجرعُها وادمن المعجزات العشر اين هو ؟
عرش البطولة باب الموتِ مدخله لا تكملوا الحصنَ فالاسوارُ تقتحمُ
ونكسوا راية الماضي فحاضرنا جريمة .. كلنا بالخوفِ متهمُ

http://ArchiveBeta.Sakhrit.com

من نحن كيف تسير الامنيات بنا الى التمني .. وماذا تصنع الهممُ
تسوقُ أيامنا الاوجاعُ تأسرنا فكيف تفلتُ من اوجاعها الاممُ ؟
تشكُ فينا .. وتشكونا عروبتنا من للعروبة .. عربُ نحن ام عجمُ ؟
غير الحقيقة لا تخفى ضمائرنا وليس تشعل فينا نارها الذممُ
فكيف نظلم في مأساتنا قدراً .. ؟ ونحن جيلٌ بحبل الخوفِ يعتصمُ
جيلُ تشابهه في عينيه مولدنا بموتنا .. نتساوى نحن والعدمُ

* * *

التأويل والمفارقة

في كتاب: الاصلاحية العربية والدولة الوطنية

د. كمال عبد اللطيف
شعبة الفلسفة - كلية الاداب ، الرباط
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

١ - يشعر قارئ كتاب « الاصلاحية العربية والدولة الوطنية » للاستاذ على اومليل انه امام جهد نظري نقدي حول بعض قضايا الفكر العربي المعاصر . ومنذ الصفحات الاولى للكتاب يتحسس القارئ طريقة الباحث في التأمل ، وفي صياغة الخلاصات وتقرير النتائج .

اننا لا نبالغ اذا ما قلنا ان هذا الكتاب يمتلك طعما متميزا وسط الركام السائد في مجال الكتابة في الفكر العربي المعاصر . انه لا يلوك العبارة ، ولا يخوض في التفاصيل بقدر ما يتجه صوب مقاصده بعبارة قصيرة موحية . انه يتخلى عن كل التفاصيل المعروفة والمتداولة اليوم حول التاريخ العربي المعاصر ، والفكر العربي المعاصر ،

ويروم بلوغ هدف بعينه : تأمل مفاهيم الفكر السياسي ، او لنقل بعبارة اخرى ادق واوضح ، انه يحاول التفكير في الاشكالية السياسية كما تبلورت في الفكر الاصلاحي العربي المعاصر .

يضع الكتاب اذن يده على المجال السياسي في الكتابة العربية المعاصرة ، ويحاول التفكير في مفارقات وعوائق هذه الكتابة ، كما يحاول التفكير في النظام المفهومي الذي اسسته وذلك من خلال معياري النجاعة والقصور ، اي من خلال نتائج تفاعلها مع المجتمع العربي .

٢ - يتضمن الكتاب محاولة لمتابعة بعض جوانب الاشكالية السياسية في الفكر العربي المعاصر ، وهو يحتوي على مقال تقديمي عام حول مفهوم الاصلاح ، منطقته وبنيته مع محاولة للتمييز بين المفهوم كما ورد في الفكر الاسلامي في العصر الوسيط ، وبين النزعات الاصلاحية التي تشكلت في الوطن العربي في عصر النهضة . ثم مقالات تطبيقية يتناول فيها بعض المفاهيم السياسية بالتحليل والنقد وكشف المفارقات ، مثل مفهوم الفطرة والديمقراطية والاستبداد والتسامح ومفهوم الحالة الطبيعية والدستور والمصلحة ثم مفهوم الدولة الوطنية . . . كما يتضمن الكتاب قراءة للمشروع الاصلاحي لظه حسين ، وهي قراءة تقدم كنموذج لممارسة اصلاحية عرفت اهم خصائص الفكر الاصلاحي . وعبرت في نفس الوقت عن جوانب من اشكالية الاصلاح السياسي والتربوي في الفكر العربي المعاصر .

لا نريد ان يوحي الاستعراض السريع والمكثف الذي حددنا بواسطته عناوين مادة الكتاب ، اننا امام مجرد قراءة تحليلية لنصوص وقضايا الفكر السياسي العربي المعاصر ، بقدر ما يجب ان نسجل اننا امام خلاصات تركييبية ، خلاصات تدفع الى التفكير وتحاول صياغة اسئلة مستفزة ومقلقة عسى ان تتمكن من المساهمة في ابتكار افق نظري يوقف مسلسل التدهور والتأخر الفكري في مجال السياسة .

ومن هنا فان مقالات الكتاب تقدم محاولة بل محاولات نظرية تستهدف امتلاك

تصور معين لحدود المسألة السياسية في الفكر العربي ، كما تتضمن مساءلة متواصلة للاسس النظرية التي وجهتها والمفاهيم التي حبكت بواسطتها .

٣ - اختار هذا البحث طريقه الخاص في الحديث عن السياسي ومفاهيمه وقضاياه الواقعية في الوطن العربي . وقد تميز هذا الطريق بممارسة التأمل اكثر من ممارسة التحليل كما تميز بالتفكير في مفارقات العقل السياسي العربي ، ولهذا سنحاول تقديمه وعرض جوانب من قضاياها من خلال محاولة تركيبنا وصياغتنا للمفارقات التي سعي للتفكير فيها ، وذلك بغية الوصول الى تجاوز عوائق الممارسة السياسية في الوطن العربي . (الممارسة النظرية ، والممارسة العملية .)

المفارقة الاولى :

غياب المجتمع المدني وحضور مفاهيم السياسة الليبرالية

لقد تشكل الفكر السياسي العربي المعاصر ابتداء من القرن التاسع عشر والى حدود منتصف القرن العشرين ضمن شروط تاريخية محددة . نقصد بهذه الشروط مناخ التأخر التاريخي ، والهيمنة الاستعمارية ، الا ان هذا الفكر تشكل اولاً واخيراً كتأويل للتراث السياسي الاوروبي الحديث والمعاصر .

نقصد بالتأويل في هذا السياق المحاولة النظرية التي انجزها المثقفون العرب عندما تعرفوا على المنظومة الليبرالية الغربية وقرأوها بواسطة مفاهيم « السياسة الشرعية » حيث تم انتاج تأويل يجمع في جوفه بين نظامين سياسيين متباعين في اهدافها ومراميها ، متباعين ايضاً من حيث وجهتهما وشروطها التاريخية فماذا نتج عن هذا التأويل ؟

لقد تولد عنه جهاز مفهومي مائل اصحابه بين مفاهيم السياسة الشرعية ، وهي مفاهيم تتضمن منطلقات ذات طبيعة دينية خالصة ، منطلقات تعترف للنص الديني بالقداسة والتعالى والمطلقية ، ومفاهيم الدعوة السياسية الليبرالية ، وقد تأسست هذه الاخيرة اثناء تجاوزه للنظريات السياسية الوسطوية القائمة على نظرية الحق الالهي للملوك .

انجزت مهمة التأويل ونحتت المفاهيم ، وعثر لها على مقابلات تراثية بدون ادنى التفات الى مقتضيات التاريخ وشروط الفكر ، لقد كان الهدف الاول للتأويل يدخل في باب الغايات العملية ، اي باب متطلبات الدعوة ومستعجلاتها ، لهذا السبب لم يكن التأويل متابعة نصية ولا متابعة نقدية ، ولا ترجمة فعلية ، بقدر ما غدا اولاً وقبل كل شيء التوجه الاصلاحى العملي الذي شكل الهاجس الاكبر في الفكر العربي المعاصر .

يحاول الباحث في هذا المستوى من التحليل التدليل بقوة على حدة هذه المفارقة فيبين من خلال امثلة متعددة كيف تم اقتطاع مفاهيم الفكر السياسي الليبرالي من منظومتها الكلية وترجمتها بما يتوافق مع المفاهيم المتولدة في مجال السياسة الشرعية . كما يتبين ان بعض المفاهيم الاساسية في الفكر الليبرالي الاوروي ظلت بدون اية قيمة تذكر عند نقلها الى المجال التداولي السياسي العربي المعاصر ، (انظر الفصل الخاص بمفهوم التسامح) .

ان معرفة الباحث الجيدة بتاريخ الفكر السياسي الاوروي الحديث تجعله يتبين الخلط الشنيع الذي مارسه الفكر الاصلاحى على مفاهيم السياسة الليبرالية (الحق الطبيعي ، الدستور ، الديمقراطية ، الحرية ...) ومن هنا حديثه المتواصل عن « قلق العبارة » وقلق المفاهيم (انظر صفحات ٢٦ ، ١٠٢ ، ١١٠) ذلك ان متابعة الكتابة السياسية في الوطن العربي تؤدي بنا الى اكتشاف اشكال التأويل والمماثلات المستحيلة التي حاول المصلحون اقامتها بين مفاهيم المعتقد الليبرالي ومفاهيم الاسلام السياسية ، يقول الباحث موضحاً ما نحن بصدد استنتاجه ، « نجد انفسنا امام هذه المفارقة ، فهناك من جهة اقتطاع الافكار من بنية نظرية في الدولة ولعناصر من جهاز تختص به وهناك من جهة ثانية استحضار مجرد لما ينبغي ان تكون عليه السلطة العمومية اسلامياً » . (ص ٦٦) .

لكن هل يمكن تفسير قلق المفاهيم السياسية الليبرالية بانعدام أرضيتها التاريخية الواقعية ؟ ان ذلك ما يريد الباحث الوصول اليه ، إن غياب المجتمع المدني لا يمكن الا

أن يترك بصماته على الأفكار المنقولة ، الأفكار التي تؤول معزولة عن سياقها النظري التاريخي ، حيث يتم التلويع بها ضمن شروط تاريخية خاصة ، شروط تتميز بالهيمنة والتبعية ، وسيادة سلطة تأخذ بطرائق ووسائل متعددة ومتناقضة في الحكم ، وتدور في فلك هيمنة ترسم مصيرها وحدودها . وفي هذا المعنى يقول الباحث : « لا بد من اعتبار ظرفية الضغط الاستعماري بعدا أساسيا في التحليل ، حتى لا نظل نساير مسaire سطحية ما يتعلق به السلفيون المحدثون من مصدر اسلامي مطلق للمعنى وللقيمة ، ولا ما يسلم به المفكرون العرب الأكثر تأثيرا بالليبرالية من حياد وعالمية مفاهيمهم الجديدة ، هناك إذن عملية تأويل يقوم بها أولئك وهؤلاء فينبغي كشف منطلقها » (ص ١٢٠) .

المفارقة الثانية :

التأويل وغياب النقد التاريخي

لا يجب أن تؤدي بنا المفارقة الأولى المتعلقة برصد الباحث للخلط المنطقي السائد في الكتابة السياسية العربية المعاصرة الى الاعتقاد بأنه يفكر في بديل المطابقة والنسخ . أي نقل المنظومة الليبرالية كما تبلورت في موطنها الأول وبدون تعديل أو تجاوز أصولها الغربية ، فليس هذا ما يرومه المؤلف . انه يفكر أساسا في غياب النجاعة ، كما يفكر في نفس الوقت في سبل تحقيقها ، انه يفكر بالظبط في ، السبل التي تؤدي الى فاعلية الأفكار السياسية في المجتمع العربي ، وفي التاريخ العربي ، « لن تكون القضية اذن هي ما اذا كان الفكر الليبرالي العربي قد ظل أمينا لأصول الليبرالية كما عرفت في الفكر الغربي الحديث ، بمقدار ما تكون المسألة هي ما اذا كان هذا الفكر الليبرالي العربي قد استطاع أن يسهم في ضبط وتوجيه عملية التغيير . » (ص ١٤٧) .

تكشف الفقرة السابقة عن جانب أساسي في تأملات الباحث ، ذلك أنه بمقدار ما يهتم « بالتنظيمات » التي عرفتها الدولة في الوطن العربي منذ القرن التاسع

عشر ، (أنظر ص ١٠٥) يفكر أيضا في الجهاز النظري الذي واكب هذه التنظيمات ، انه يفكر اذن في الاصلاحات التي عرفها جهاز الدولة كرد فعل من أجل مواجهة الغزو الأجنبي ، كما يفكر في « نظرية الدولة » ، ويحاول كشف التناقض بين « الأمة » و« الدولة » ، التناقض بين القانون والعقيدة ، بين التراب الوطني كمفهوم جغرافي قانوني و« دار الاسلام » وهو مفهوم عقائدي . تتأسس المفارقة هنا في غياب المعالجة التاريخية . أي في غياب التأويل التاريخي النقدي ، هذا الغياب الذي ينتج عنه انعدام التأثير وعدم الفعالية ، حيث تنتج الشعارات في عبارتها القلقة لا لتفعل فعلها التاريخي الايجابي المنتظر ، بل لتظل غريبة عن الواقع ، متقاطعة معه ، ويظل التلويح بها رغم تكراره مجرد لعبة نظرية متعالية . نقرأ عند الباحث في هذا السياق ما يلي : « إن الأفكار حين تتلقى من موقع غير موقعها الأصلي فلا بد من معرفة مزدوجة : معرفة بمجالها الاجتماعي التاريخي الأصلي ، ومعرفة بظرفية التلقي وما آلت اليه هذه الأفكار ، خاصة اذا وردت في ركاب التدخل الأجنبي ، والازلت هذه الأفكار غير ذات جدوى في الاسهام في ضبط وتوجيه عملية التغيير . » (ص ١٤٨) .

المفارقة الثالثة : ARCHIVE

الديمقراطية و« عقيدة الخلاص »

يتحدث الأستاذ أومليل في الفصل الأخير من كتابه وهو يحمل عنوان « الاصلاحية العربية ومشكلة الدولة » عن مفارقة ثالثة ، يرصد أبعادها في الكتابة السياسية الراهنة ، وذلك من خلال معالجة تتسم بحدوس سياسية تنبئ عن كثير من المعاناة في مواجهة المصير السياسي العربي ضمن دائرة الصراع الدولي ومراكز القوى العالمية .

يثير في هذا المقال ظاهرة العودة التي يلمسها المتابع للبرامج والشعارات السياسية العربية ، إلى مطلب الديمقراطية « إن من يرصد رأي عامة المثقفين العرب في هذه الأيام يجدهم يطرحون من جديد وبالحاح قضية « الديمقراطية » ، ويجعلونها هذه

المرّة لا تقبل التفويت أو الارجاء بأي مبرر من مبررات الوحدة أو « التعبئة » أو « التنمية » (ص ٢٠٠) .

واضح اذن أن شعار الديمقراطية يشكل الالفة السياسية الأولى في الساحة السياسية العربية رغم أن الذين يتحدثون عن الديمقراطية لا يتحدثون لغة واحدة ، ورغم أن الديمقراطية في أوروبا في سياق تبلورها التاريخي أو في وضعها الحالي تثير أكثر من علامة استفهام .

ان الذين يتغنون اليوم بالديمقراطية لا يضيفون في نظر المؤلف أي جديد الى الشعارات التي رفعت من طرف المثقفين العرب في الثلاثينات ، باستثناء مطلب « حقوق الانسان » . لكنهم في نظره يجمعون على مفهومين أساسيين للديمقراطية هما المشاركة وتداول السلطة .

لكن المفارقة هنا لا تكمن في هذه الدعوة ، ذلك أن الطهطاوي ومحمد عبده ولطفي السيد لوحوا بطرق مختلفة بنظام الحرية والشورى . ان المفارقة هنا تكمن في الجمع بين مطلبي الديمقراطية والقائد الملهم الذي يكون بيده « خلاص » الشعب و« رقيه » ، يقول المؤلف « نحن اذن أمام اتجاه مزدوج للمثقفين العرب لا يخلو من مفارقة : فهناك دعوة الى الديمقراطية ، الى دولة القانون ، ومؤسسات المشاركة . وتداول السلطة ، وهناك في نفس الوقت انتظار لظهور القائد الفذ » (ص ٢٠١) .

يضع الباحث اذن يده على مفارقة نموذجية في الفكر السياسي العربي المعاصر ، انه ينتقد بشدة الحنين الى عبد الناصر ، وهو حين يعتقد أنه سيتمكن العرب من تحطيم كل هزائمهم ويمنحهم القوة التي يرغبون فيها .

فلا يمكن الجمع بين الديمقراطية ومفهوم « الاستبداد العادل » ، والمستبد العادل ، ولا بين مفهوم الديمقراطية و« الاستبداد المستنير » ، والمستبد المستنير ، فتلك مفاهيم متناقضة بالإضافة الى أنها تكتسي صبغة نظرية مناسبة لظروف تكوينها . أما نقلها ومماثلتها بالمهدوية . والتفكير فيها بجانب التفكير في الديمقراطية فهما أمران أقل

ما يمكن أن يوصفا به هو الخلط بين المفاهيم والأزمته ، والقفز على المنظومات النظرية والعصور ، وتناسي الشروط التاريخية التي توجه نظام الدولة اليوم ليس في الوطن العربي فقط ، بل في كل دول ما يعرف بالعالم الثالث . (أنظر ص ١٩٩) .

التأويل

٤ - نريد أن نؤكد بعد عرضنا للمفارقات المذكورة أن كتاب الأستاذ علي أواميل ينطلق من اعتبار أن الفكر السياسي العربي المعاصر عبارة عن عملية تأويل لكل من المنظومة السياسية الإسلامية ، كما تشكلت في باب السياسة الشرعية ، ومنظومة الفكر السياسي الليبرالي كما تأسس في الغرب الأوروبي ابتداء من القرن السابع عشر .

لكنه لا يهتم بالتأويل في مستوى مقارنة تعني فقط بسلم المفاهيم النظرية الخالصة ، بقدر ما يقارب هذا التأويل في علاقته بالمتغيرات التاريخية الحاصلة في بنية المجتمع العربي منذ بداية تغلغل الهيمنة الاستعمارية في القرن الماضي ، ولهذا فهو يفكر في التاريخ ومن أجل التاريخ ، يفكر في قلق العبارة وقلق الواقع - إذا صح هذا التعبير - أنه يسلم بأن الكتابة تنتج في التاريخ من أجل التاريخ ، ومرة أخرى أنه يفكر في النجاعة رغم قصر النفس الذي يبيده باستمرار في خاتمة أبحاثه ، (أنظر على سبيل المثال ص ١٠٦ ، وص ١٢٠) حيث لا يقوم بتحليل مراميه بالصورة التي تؤمن فعلا معرفة ما يريده بالذات . وحيث يغيب السند المرجعي التاريخي الذي يستطيع أن يغذي تأملاته بما يدعمها ويدفع بها الى حدودها النظرية القصوى . . . إنه يكتفي بالإشارة العامة والملمح السريع .

الا أنه مقابل ذلك ما يفتأ يمارس تفكيك المفاهيم من أجل فضح مفارقاتها ، ومن هنا فإن كتابه يدخل في باب « التأمل الفلسفي » أكثر مما يندرج في باب التاريخ السياسي (أنظر ص ٨٢ - ٨٣) . وانطلاقا من هذا المنظور حاولنا تقديم كتابه ، عن طريق التفكير معه وبواسطته في المفارقات الحاسمة التي تعطل في نظره بنية الفكر

السياسي العربي ، وتقف حائلا دون فعالية النظر العملي في التاريخ الفعلي .

إن كتاب « الاصلاحية العربية والدولة الوطنية » عبارة عن مجموعة من التأملات المغرمة « بفك التشابك الواقع في المفاهيم المتداولة » ، ومن هنا وقوفه المطول عند مفهومي « الفطرة » و« الحالة الطبيعية » ، وذلك من أجل محاولة الكشف عن البنية النظرية الثابتة خلف كل منهما . الا أن الباحث في نظرنا رغم المجهود الكبير الذي بذله في فصل « الفطرة » و« الحالة الطبيعية » لم يحقق النتائج التي كان يريد الوصول اليها .

نعتقد أن مفهوم « الفطرة » لا يمكن أن يوضح تماما مقابل مفهوم « الحالة الطبيعية » ، لا من أجل رفض ولا قبول التقابل ، بل ولا حتى من أجل اثبات « الحدود » (ص ٣٤) ، وذلك لأنه بقدر ما يشكل مفهوم الحالة الطبيعية مفهوما قويا في سلم مفاهيم الخطاب السياسي الليبرالي ، وفي تاريخ الفكر السياسي الأوروبي على وجه العموم ، نلاحظ أن مفهوم الفطرة غير مؤسس في تاريخ الفكر الاسلامي ، رغم أن الفقهاء لوحوا به عبر تاريخ الاسلام بمناسبة هذه القضية أو تلك ، وعندما نريد أن نتحدث عنه بوضوح فإن مجال هذا الموضوع أو مستواه هو الصيغ التي تبلور عن طريقها في خطاب الفلاسفة المسلمين وخاصة ابن سينا وابن طفيل ، وهو المجال الذي يربط المفهوم بنظرية في المعرفة أكثر مما يربطه برؤية مجتمعية سياسية .

ملاحظات :

نسجل في خاتمة هذا التقديم المختصر ملاحظتين جانبيتين على الكتاب ، تتعلق بالملاحظة الأولى بالخطر الشديد والزائد الذي يبديه المؤلف بصدد بعض المفاهيم التي أصبحت راسخة في الفكر العربي المعاصر ، ونقصد بذلك موقفه من مفهومي (سلفية ، ليبرالية) وهو التزاوج الذي اعتاد مؤرخو الفكر العربي المعاصر استعماله عند تقسيمهم لفئات المثقفين في الوطن العربي ، (أنظر ص ٥) .

لقد وصفنا هذا الموقف بالخطر الزائد وذلك لأن الباحث يتخلى عنه خلال البحث ، بل أكثر من ذلك نلاحظ أنه يلجأ الى المفهومين ويفكر بواسطتهما طيلة فصول الكتاب ، صحيح أنه يتوخى في صياغاته كثيرا من الدقة ، وأنه لا يترك العنان لقلمه لتكرار المعاد واجترار المعروف ، لكنه في هذه النقطة بالذات تحدث أكثر من مرة عن التوافق (ص ٢٢ - ٢٣ - ٢٤) . وحاول في بعض المرات التفكير والاقرار بالاختلاف (ص ٨٢ - ٩٠ - ١٠٣ - ١٠٥ - ١٢٠ - ١٤٧) الا أنه في الحالتين معا تحدث بلغة رسخها التراكم ، ودعمتها اجتهادات مشهود لها بعمق التأمل في مجال الفكر السياسي العربي المعاصر ، ونقصد بذلك اجتهادات كل من أنور عبد المالك وأليبرت حوراني ، وعبدالله العروي .

أما الملاحظة الأخيرة فانها ترتبط بالملاحظة السابقة . ذلك أنه يمكن للقارئ أن يسجل بسهولة غياب محاورة الباحثين الذين سبق لهم أن قدموا اجتهادات في نفس موضوع ومجال بحث الكتاب ، وخاصة اجتهادات الأستاذ عبدالله العروي . وإذا افترضنا أن كتاب الأستاذ علي أو مليل يتم جوانب من كتابي « مفهوم الحرية » و « مفهوم الدولة » للأستاذ عبدالله العروي فإننا نستغرب هذا الغياب وتساءل عن مبرراته .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

إننا لا نقصد هنا أن يعتمد الباحث بالضرورة على تأويلات الأستاذ العروي ، ولكننا نقصد أساسا بلورة حوار نظري ، وذلك لأننا عندما نجتهد في إطار حقل معرفي واحد ومحدد نكون في أمس الحاجة الى مجادلة بعضنا ، ولن يكون الجدل دائما نقدا ومخاصمة - رغم أهمية النقد والخصام - كما أنه لن يكون بالضرورة مجرد تدعيم أو تسليم ، بقدر ما يمكن أن يكون جمعا بين هذا وذاك ، أو تجاوزا لهذا وذاك . . .



الظل

قصة قصيرة

بقلم / أرفيند غوهيلي

ترجمة / شوكت يوسف

تعريف

جلست ديفكي موزمدار وحيدة في حديقة صغيرة قرب سور المرفأ . اشتعلت الاضواء ودبت الحركة والنشاط في كل ما حولها . تقاطرت افواج الرجال والنساء للنزهة والتمتع بمراى البحر وترددت اصدااء احاديثهم وضحكهم . تهادت قرب الشاطئ قوارب صغيرة وزوارق غاصة بالناس ، والتمعت بعيدا الاف مؤلفة من اضواء ارسلتها سفن اجنبية راسية في عرض البحر .

أرفيند غوهيلي (ولد عام ١٩١٩)
احد كبار كتاب القصة القصيرة في الهند .
يكتب باللغة المراثية . صدر له العديد
من المجموعات القصصية من اهمها -
« لقاء » (١٩٥١) ، « الاخرى »
(١٩٦٣) ، « وابل المطر »
(١٩٦٨) .

اعتادت ديفكي موزمدار الجلوس هنا

المسافرين ، الاتصال الهاتفي المباشر مع شركات الطيران والاجابة على الاسئلة واستفسارات السياح الكثيرة . وخلال عام واحد غدت ديفكي عاملة ذات خبرة جيدة في مجال عملها .

وجدت زوجة قريبها سكنا لها في شقة احدى صديقاتها . كان الحريق قد ادى على كل امتعتها واشيائها الشخصية ، لذا لم يكن ثمة شيء تنقله ديفكي معها الى المسكن الجديد .

تناولت محفظتها وخرجت . رأت قريبتها ان ذلك سيجعل امر الاشراف اكثر يسرا . اما ديفكي فرأت ان تستقل في غرفة وان كانت صغيرة تجنبنا لاجراج او ازعاج اقربائها .

في البداية عاشت ديفكي راضية ونظرت الى المستقبل بتفاؤل : اجر مقبول ، غرفة مستقلة ، صبا متفتح اصدقاء واصحاب جدد ، تجربة حياة جديدة . لكن لا تتحقق دوما التطلعات والامال . فها هي منذ عدة سنوات تذهب الى العمل بالقطار وتعمل ثماني ساعات متواصلة يوميا في اعداد وتسليم تذاكر السفر . تعود مساء الى البيت ، تحضر عشاءها ، تستلقي على الاركة تقلب

كل مساء عازلة نفسها عن كل ما يحيط بها . كانت رقيقة نحيلة الجسم اشبه بالظل . عدا ذلك لم يكن ثمة ما يميزها عن غيرها . فليست قبيحة ولا هي بالجميلة وانته ، ككثيرات غيرها المدرسة الثانوية . بكلمة واحدة كانت تلك المرأة العادية ذات الثلاثين عاما من العمر القادمة الى بومباي من قرية صغيرة في ولاية مدهيا برادش وتعيش بهدوء ورتابة مستقلة ووحيدة وسط هذا العالم الصاخب القلق . تغدو مثيلاتها عادة ، بعد انقضاء عهد الصبا ، شاحبات تعيسات وحساسات . وكانت سمة ديفكي الرئيسية المميزة لا مبالاتها التامة بكل ما حولها .

منذ خمسة عشر عاما وديفكي تعمل في وكالة تريشولا للسياحة والسفر . مات ابوها وامها واخوها واختها اثناء الحريق ، وحدها نجت انثى . بعد اتمام المرحلة الثانوية قدمت الى بومباي ، نزلت في بيت احد اقربائها ، واستلمت عملا في احدى وكالات السفر . في البداية كلفوها باعمال صغيرة شتى في الوكالة ، بعد ذلك بدأت تعمل بائعة لتذاكر السفر . دخل في صلب عملها هذا اعداد قوائم باسماء

صفحات كتاب او مجلة وتغرق في تأملات واحلام حول السعادة . احيانا تذهب ديفكي الى السينما او المسرح او تنزهه في الحديقة . في اغلب الاحيان كانت لا تطيق العودة الى البيت فورا فتتجه صوب ميناء ابولو وتجلس هناك وحيدة في عزلة عن العالم .

ترداد الحركة على رصيف الميناء ويكثر الناس : شباب وصبايا في اثواب زاهية ، سيدات يتأبطن اذرع ازواجهن وامامهم يدرج الخدم مع عربات الاطفال . يصادف احيانا مواطنون عرب في ثيابهم البيضاء الطويلة . كما وثمة كثيرون امثال ديفكي يجلسون على مقاعد خشبية يراقبون الناس وما يجري حولهم .

كانت ديفكي الان جالسة على مقعدها لا مبالية بمن حولها ولا بالبحر المنبسط امامها ، شاهدت البحر لاول مرة عندما قدمت الى بومباي . ادهشها في ذلك الحين اصطخاب الامواج ، رمل الشاطئ ، السماء الساطعة والقوارب البعيدة التي تبدو معلقة في الافق . وهكذا جلست الان غير آبهة بشيء تؤنسها رطوبة الجو المنعشة في هذا المكان .

ذات مرة ذهبت مع موظفي الوكالة في نزهة الى (فارسوف) . البحر هناك قريب جدا . كان بين رفاق الرحلة ديجو مانكامي العامل في مكتب الحجز . ساعدها هذا الشاب كثيرا في بداية عملها ودعاها الى الغداء مرات . اعجب ديجو هذا بمرحه وخفة دمه ، جميع موظفي الوكالة وبخاصة الفتيات ، وكانت ديفكي واحدة من المعجبات . لكنه عاملها كما عامل زملاء العمل الاخرين . اثناء الرحلة فقط جلس بجانبها وخلال اللعب اختارها شريكة له . في تلك المرة احمر وجه كليهما خجلا عندما لمحها مصادفة في الزاوية تصلح وضع الساري على كتفها . بعد الرجوع الى بومباي علفت ديفكي عليه بعض الامال . . . لكن سرعان ما صار ديجو يتردد على حجرة بيع تذاكر القطار . واست نفسها قائلة : اذا لم يكن هو فثمة غيره . قد يكون من نصيبها ذلك الشاب الطويل الجميل الذي تلتقي به احيانا في القطار او الاخ الاصغر لقريبها الذي اوصلها الى بومباي ؟ ما اكثر الشباب الجيدين في هذا العالم ، لكن لالم يد حتى الان احد رغبة في اطفاء الشعلة المتقدة في صدرها . مع مرور سنوات



مر مسرعا امامها راكب دراجة هوائية . فوجئت المرأة الواقفة بالقرب منها فشددت اليها بنرفزة عربية طفلها . ديفكي لا تعرف اجاسيس الام . لا تعرف تجربة حب الاهل ، ليس لديها من تعاني او تضحي من اجله . لا تنتظر سوى الحياة الرتيبة ، الذهاب الى العمل ، بيع التذاكر وهكذا حتى الممات .

على الجانب الاخر من الطريق قام فندق « تاج محل » الضخم . رأت ديفكي كيف تتجه السيارات الفخمة نحوه وتتوقف في باحته ويخرج منها اناس اغنياء مرفهون . كان يقف قرب مدخل الفندق باص انيق مخصص لنقل السياح من

خفت حدة معاناتها وبرزت اللامبالاة في سلوكها وحياتها . تنظر الان الى الناس كتلة واحدة لا تميز فيها احدا من الرجال .

خرج من سيارة توقفت غير بعيد منها رجل مع زوجته وبناته ثم عجوز وفي اثرها كلب صغير اسود اشعث الشعر . بدت هذه الاسرة تجسيدا للمحبة والثقة والتفاهم المتبادل . لكن ديفكي حولت بصرها الواهن عن المشهد الطارىء . فمنذ زمن لم تعد تثيرها سعادة الغير ، ولم تعد تتوقع لنفسها ذلك . هل ستتزوج بعد حين ؟ هل سيكون لها اطفال ؟ ما عادت تطرح على نفسها مثل هذه الاسئلة .

المطار .

الراحة والهناء ، اذ كانت تقول لنفسها
بمرارة : « يا لحظي العاثر » . وهكذا
شعرت ديفكي بالزهو عندما لاحظت
ذات مرة شابا وسيما وانيقا يقف قبالتها
ينظر اليها باهتمام . التفتت خلفها لترى
ان كان ثمة احد يرى هذا المشهد ، لكن لم
يكن خلفها غير البحر وامواجه ، نظرت
ديفكي الى الشاب بشيء من الشك
والاستغراب . لمحت شيئا ما اليها في
وجهه . هل رأته صورته في مجلة ما ام انه
نجم سينمائي معروف ؟ بقي واقفا يتطلع
اليها بصمت . اخيرا تجرأ وقال :
- عذرا . . . الا تعملين في وكالة تريشولا

للسفر ؟

- نعم ، اعمل هناك .

- هذا يعني انك ما زلت في مكتب حجز
التذاكر . اليس كذلك ؟
- طبعا .

خاطبت ديفكي موزمدار الشاب كما
تخاطب اي سائح يزور المكتب . ماذا في
الامر ؟ واحد من كثيرين اتى لحجز بطاقة
سفر على الطائرة .
بدا الشاب مسرورا لهذا اللقاء .
اقترب منها وقال :

- رأيتك قبل عشر سنوات ، ها انت لم

لم يصدف ان ركبت ديفكي الطائرة في
حياتها . وحتى المطارات لم ترها الا من
بعيد .

تعرف عن ظهر قلب رحلات شركة
الطيران الهندية : بومباي - احمد اباد -
جيبور ، بومباي - نجبور - كلكتوبا ،
بومباي - دلهي - كنبور - لاهنو وتردد
خلال يوم العمل الف مرة كلمات :

« كارافيل ، ايروباس ، بطاقة
عودة ، امتعة ، قائمة الركاب ، الحجز ،
شركة الضمان ، حجز بطاقات المجموعة

السياحية . » شغلت هذه الشؤون كل
وقتها اثناء العمل . كانت تتبادل بضع
كلمات اضافية احيانا مع احد السياح من
التجار الكبار او الممثلين السينمائيين .

لكن لم تدخل طوال حياتها عتبة فندق فخم
او تطير بالطائرة . في وكالة تريشولا
عملت زوجة احد الطيارين وطالما تحدثت
عن البلدان البعيدة . وفي شركة الطيران
السويسرية عملت شابة سافرت مرات
خارج البلاد ، وحدها ديفكي لم يسعدها
الحظ برحلة على متن الطائرة .

عذبتها هذه الفكرة ، حرمتها طعم

تتغيري ابدا .

جدا لحجز مكان على الطائرة المسائية
المتجهة الى جيور . لكن كان الوقت ظهرا
وجميع العاملين في استراحة الغداء ونافذة
بيع التذاكر مغلقة . تشاءمت وتضايقت
كثيرا ، فحصولي على بطاقة سفر او عدمه
يحدد مستقبلي ومصيري . وفجأة رأيتك .
كنت منزوية تأكلين سندويشة . اقتربت
منك وشرحت لك وضعي قدمت لي كوب
القهوة الذي كان امامك وقلت :

- قد لا استطيع مساعدتك لكنني
سأحاول .

اصغت اليه كما الطفل يصغي الى
حكاية طريفة .

- تكلمت عبر الهاتف طويلا مع شركة
الطيران ، قلبت الاوراق امامك ، ثم
اتصلت ثانية بالمطار . بقيت خلال ذلك
مترقبا متوتر الاعصاب . كان مصيري كله
بين يديك آنئذ . اخيرا اومأت برأسك
مبتسمة ، فادركت اني نجحت في
مسعاي . خرجت راكضا من الوكالة
ملوحا بالتذكرة حتى نسيت ان اشكرك .

لم تتذكر ديفكي شيئا من ذلك كله .
لحسن حظه كان ما زال ثمة مقعد واحد في
الطائرة غير محجوز . لكن ما اهمية كل
ذلك ؟ حصل ما يشبه ذلك مرات

دهشت ديفكي . عجباً هو يتذكرني .
صدف مرارا طبعا ان التقت في الطريق
وفي الاماكن العامة ببعض زبائن الوكالة
لكنهم يمرون امامها في العادة لا مبالين ،
او حتى يسيرون وجوههم الى جهة
اخرى . اما هذا الشخص فرأها قبل عشر
سنوات ومازال يتذكرها . هل يكون هذا
اسلوبا خاصا للتعرف ؟

- من انت ؟ لم اعرفك ؟

- حقا ؟ في الاسبوع الماضي نشرت كل
مجلات السينما صورتي . لعبت دور البطل
في فيلمي باسوتشارتجي وشيام بينغال .

حينما التقينا قبل عشر سنوات كنت اتدرب
على تمثيل دور في احد اعمال المسرح
التجريبي .

لا تهتم ديفكي كثيرا بالافلام
والمسرحيات . في الواقع شاهدت فيلم
بينغال « عصر الآلة » لكن لا تتذكر الان
ان كان هذا الشاب احد ممثليه . امعنت
النظر في وجهه . اقترب الشاب منها اكثر
وشرع يتحدث :

- ذات يوم قبل عشر سنوات تماما شاهدت
لوحة كتب عليها « وكالة تريشولا للسياحة
والسفر » فدخلت . كنت في حاجة ماسة

عديدة ، ولم الشكر ؟ وبعد عشر سنوات
يتذكر الحادثة ! نمت نظرة ديفكي عن
حيرة تامة .

- ما رأيك ان نشرب معا فنجان قهوة ؟ في
ذلك الحين قدمت لي فنجانك .

لاول مرة في حياتها تذهب مع رجل الى
مقهى فخم . كالعادة كان في مقهى - بار
« شاميان » زوار كثيرون لكن كان في
طرف المكان طاولة بكرسيين شاغرة .
جلسا بهدوء نظر كل منهما الى الآخر
بفضول ومودة .

- اسمي امبار واعمل ممثلا في السينما .
سابقا عملت في التدريس لكن في الخمس
سنوات الاخيرة شغلتي الافلام . ما
اسمك انت ؟

ذكرت ديفكي اسمها له . تصورت
بداية حكاية حول علاقة ممثل شاب جميل
وفتاة فقيرة . طلب امبار من النادل فنجان
قهوة ثم تابع حديثه :

- في ذلك الحين عندما قابلتك قبل عشر
سنوات ، كنت في حالة حرجة للغاية
فشل ، يأس ، ضياع ، وزيادة على
ذلك ..

- وماذا زيادة على ذلك ؟

- كنت احب فتاة بشكل عنيف .

واحبتني هي ايضا . لكن ذات مرة اختلفنا
لسبب تافه . غضبت مني وسافرت .
كدت انتحر .

انظفا فورا ذلك الامل الذي ومض
لدقائق في عيني ديفكي . ارتسم على
وجهها ظل قاتم وبالكاد سيطرت على
اعصابها .

- سافرت انيسة . فقدت الحياة بالنسبة لي
كل معنى . كنت على حافة الانتحار ،
وانيسة وحدها - لقائي بها وحده كان
الكفيل بانقاذي . لكنني لم استطع اقناع
نفسي بالذهاب اليها .

- وهل اقنعت نفسك اخيرا ؟

- هي استدعتني بنفسها . في جيور ،
حيث تعيش ، تقابلت مع شاب غني
ومتعلم اعجبته فعرض عليها قلبه ، لكنها
كانت تنتظري ، تأمل في قدومي واعتذاري
منها ، تذكرت قسمنا وتعاهدنا على الحب
الابدي . لكنها الان امام خاطب جديد ،
حارت في امرها . وعندما اقترب ذلك
اليوم حيث لا مفر من اعطاء الجواب
النهائي للخاطب نفذ صبرها وارسلت لي
البرقية التالية « تعال حالا . بعد غد
ستكون متأخرا . »

استلمت البرقية . لم يكن قد بقي

تهدت ديفكي بعمق . نظرت بحزن
حولها . ثمة خلف الطاولات رجال ونساء
في اثواب زاهية فاخرة يبدون سعداء
مرفهين . ترددت اصداء الموسيقى
الصاخبة في المكان . لم يكن احد ينظر
اليها . كانت غريبة بين الحضور .

فتح امبار عينيه .

- منذ ذلك الحين بدأنا حياتنا المشتركة .
عدنا الى دهي وعشنا هناك عند خالتي .
وجدت انيسة عملا لها والتحقت انا بمعهد
التمثيل .

ساعدتني زوجتي كثيرا ، عملت الكثير
من اجل ان اصبح ممثلا قديرا . وهي حتى
الان تشكرني لانني تجاوزت انانيتي
واستجبت لندائها . اما انا فمازال يعتريني
الذهول عندما استعيد ذكرى ذلك اليوم :
ماذا كان سيحصل لي لو لم اتمكن من
الحصول على بطاقة سفر . شكرا لك
شكرا لك فلولاك لما . .

اعوزته الكلمات المناسبة للتعبير عن
الشكر والعرفان بالجميل . . سكت ونظر
الى ديفكي . بدت مستاءة وكئيبة . كأنها
وهي في هذا المكان الفخم والجو
الارستقراطي وامامها ممثل بطل لعديد من
الافلام ، في حلم . بفضلها اذن اتحد الى

امامي سوى ثماني ساعات ، وليس لدي
نقود . رهنت جهاز التسجيل ، لكن
كيف العثور على بطاقة سفر بالطائرة الى
جيبور ونحن في عز الموسم السياحي ؟
وقعت في حيرة تامة . فجأة مررت وانا في
طريقي بوكالتكم ، فدخلت . وابتسم لي
الخط بمساعدتك شخصا .

انعكست ذكرى هذه الحادثة على وجه
امبار . بدا وكأنه يعيش الان فعلا تلك
اللحظة السعيدة عندما حصل على بطاقة
سفر ، فشكر ديفكي من اعماقه .
اتكأت بمرفقيها على الطاولة منحنية
وسألته :

- وهل وصلت في الوقت المناسب ؟
- في ذلك اليوم الغيت رحلات كثيرة
بسبب الاضراب . لكن طائرتنا اقلعت في
الوقت المحدد . كانت انيسة بانتظاري في
المطار . ادركت بحدسها اني سآتي حتما .
ما ان تقابلنا حتى تلاشى تماما كل ما فرق
بيننا . ادرك كلانا اننا مخلوقان الواحد
للآخر . وان سعادة اي منا لن تكتمل
بدون الآخر .

صمت امبار فجأة واغمض عينيه . مر
شريط احداث تلك الايام ثانية امام
ناظريه . ياللحب ! يالشباب !

بالتاكسي ؟ » او ان يسألها : « هل
تسكنين بعيدا من هنا ؟ » او يقترح عليها
اللقاء الثانية .

لكنه قال لها عند الوداع ما يلي :
- وراء كل رجل عظيم امرأة تهيه
السعادة . ووراء كل زوجين سعيدين ظل
يشير الى طريق السعادة . خرجت ديفكي
موزمدار الى الشارع المزدهم المتلألئ
بالاضاءة وتلاشت في الزحام . حولها
الحياة تمور وتصطبغ وكانت هي ظلا
وحسب لهذه الحياة !

الابد قلبان . كل شيء ممكن طبعا . لم
يكن مستبعدا ابدا الا يتمكن امبار من
الحصول على بطاقة سفر .

- دفع امبار الحساب ونهض قائلا :
- دعينا نذهب . عندي موعد عمل هنا .
يجب ان ابرم عقدا مع منتج انكليزي قدم
الى بومباي . فرصة سعيدة انا مسرور
بلقائك اليوم .

ودعها خلف الباب الزجاجي
للفندق . تأملت ان يقول لها : « صار
الوقت متأخرا ، هل اوصلك



عموس الدم

سنة محيري

شعر: محبوب موسى



ARCHIVE

<http://Archivebeta.com>

تألقت نورا ونارا
وشوكة ووردا
وشهدا وصابا
وفتحت باباً . . وغلقت بابا
وشيّدت مجدا . . وهدمت مجدا
تناثر لحمك فيهم شظايا
وما زلت ملء الحنايا . .

.....

يرفرق ثوب بلون الحليب
سداه ولحمته أغنية
يجن بها العندليب
وتهفو لها الأمانة

وضوء الشموع نوافير تعلو . . ويعلو لها واليها من الورد عطرُ
وفي العين فجرُ
تألق فيه المنى والسعودُ
فلون منك الخدودُ
ولوّن كفيك لليلة المقبلة
وأنتِ بها بليلة
تغني لآلفٍ يضم عليها حنان الجناح
ويحملها للعشيش المضفر من خفقات الصباح .
و . . . تصحين فالظلمة الغادره
تصب على الناس سم العدا
وتعصف بالكبرياء
تخبىء تحت الغصون الخناجرُ
وتمطر بالسوس حضن البيادرُ
وتحشو الدمى في أيادي الصغارُ
بحقد ونارُ
http://Archivebeta.Sakhrir.com
و . . فكيف يطيب لك العرس يا مجدليه ؟
وفي كل زاوية أفعوانُ
وفي كل حلق شظيه
وقال لك الماء وجهك في صفحتي سنبله
وقال لك الماء لحمك في صفحتي قنبله
فلا تستقيم السنبالُ
ووصل القنابلُ
وقال لك الحب عشك في كل زهره
وقال لك الموت قبرك في كل قطره
وقا . . إنهم قادمونُ

على كل مركبة عقربُ
تبث المنونُ

فلا بد ان يذهبوا
هناك الى حيث لا يرجعونُ
ولا . . فلاكنُ بندقيه
وماذا لدى البندقيه ؟

سوى قطرات المنيه
ولن يتقع الغلة الصاديه
سوى الدفقة العاتيه
أنا الدفقة العاتيه

تناثرت فيهم شظايا
تناثرت فينا

لآلئ ينظمها الحب عقدا جميلا

تُزينُ الخلود التبيلا
تفجرت فيهم منايا
وفينا عطايا

سناء وسيناء . . لا تفصل (الياء) بينهما خردله .
بل الياء عودُ من الأرض . . للسنبله
هنا في بلادي ترى الناس والأرض خيطين أول وهلة
ولكن تأملُ

ترى الناس والأرض في منسج الحب ثوبا
هنا في بلادي
ترى الناس والأرض ثغرين . . لكن تأملُ
ترى الناس والأرض قبله
وسيناء اعطت سناء دماها

فعادت ترد الجميل بفيض الدماء
هو العرس أجمل حين تفيض الدماء
دماؤك أنت فداء
دماء العدو فناء
وصوت التفجر أشهى من الشدو يا مجدية
فلولاه .. ما كنت حية ...



القطعة

والقطعة

قصة قصيرة

حسني سيدلبيب



ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

واحيانا تتملكه رغبة في لمس شعرها ، ثم
يقبل نحوي ، بعد ان ابتعدت قطته
الصغيرة ، مقرة بجرأته .. يقبل نحوي
فرحا .. يكاد يتراقص في مشيته ..
ضاحكا ، قائلا :

- بابا .. القطعة ..

مشيرا الى عتبة باب البيت ، حيث
كانت تقف . اقول له :

- مشت القطعة .

يردد قولي :

- بابا .. القطعة .. مشت ..

طفلي احب القطعة البيضاء التي تموء ليل
نهار . لموائها صدى محب في نفسه ،
يجعله يخف اليها سراعا ، محاولا لمس
شعرها الابيض . يصصر على ان اشاركه
متعته ، ان اخف مثله والاطفها . احيانا
اطيعه ، واخرى اتكاسل في مكاني ..
وفي كل المرات ، يشير الى القطعة من
بعيد ، قائلا بلثغة محبة :

- القطعة ..

مشيرا باصبعه الصغير ، ثم يهرع
نحوها . احيانا يهشها بيده المنمنمة ،

بين كل كلمة والاخرى فترة صمت ،
ريثما يسعفه النطق بحروف الكلمة
التالية .

يتصادف ان يسمع مواء قطه ، وهو
راقد في مخدعه ليلا . يوقظني او يوقظ
امه . يشير جهة الباب قائلا :

- ابي .. القطة ..

ويظنها قطه البيضاء . يهم بترك
الفراش ، ليتجه ناحية الباب . احاول
منعه واقناعه بالنوم . احيانا يمتثل ، وكثيرا
ما يعرض عني ، ويقضي وقتا طويلا
بجوار الباب ، كأنه على موعد جميل مع
قطه الحلوة .

وذات مرة ... نهضت من نومي على
صوته . صراخ طفلي اقلقني . روجني
قلقت هي الاخرى . هرعنا اليه ، وكان
الليل قد انتصف ، فاذا به يقف لصيق
الباب ، ينصت لمواء القطة ثم اذا به
فزع ، فيجري مهرولا نحونا .

ما الذي ايقظه وجعله يغادر الفراش ؟
لا شك انه مواء القطة . فما الذي افزعه
اذن ؟ سؤال حائر لم نفلح في الاجابة
عليه . طفلي احب قطه البيضاء ، فلم
الفزع ؟

وما تصورته هو ان طفلي بعدما سمع
مواء القطة ، ترك فراشه متجها نحو الباب
كعادته .. وربما احس بغريزة خفية ان
المواء ليس لقطته الصديقة ، ففزع
وخاف .

زوجتي لم تقتنع بما ذهبت اليه . قالت
لي انه شاهد بالامس قطه سوداء .. ولعله
خاف منها . قلت منزعجا :
- ربما انت اخفته من القطة .
- لم يحدث اطلاقا . هي القطة السوداء .
قطته بيضاء كالنهار . وهذه سوداء
كالليل .

- طفلنا لا يميز بين الابيض والاسود .

- انه يخاف من الظلام .

اخذته في حضنها ، فطفق يردد :

- القطة .. القطة ..

علامات خوف ارتسمت خطوطها على
وجهه الابيض المستدير ، وعلى شفثيه
الصغيرتين .

سكت المواء . فرحت . قلت لطفلي :

- القطة .. مشت .. ذهبت الى امها ..

ونامت في حضنها ..

ردد ما التقطته ذاكرته من كلماتي :

- القطة .. مشت .. نامت ..

يفسدها ويحطمها .. ثم تمتد يده لاشياء
اخرى .

ذات مرة .. امسك بالمكواة ، محاولا
تقليدنا بتوصيل الكهرباء اليها . نسارع
اليه ، ننتزع المكواة بالقوة وسط
صرخاته ، ونخفيها عن ناظره . واطيب
خاطرنا ، واعالج بكاءه ، مدعيا ان المكواة
لا بد وان تنام كالقطة . فيقول لي :
- تنام .. (نينة) .. قطة ..

اومى برأسي فيقتنع . لاشك انه
يتذكر قطته الحبيبة ، فترتاح نفسه . وكلما
استعملت المكواة ثم اعيدها الى مكانها
المألوف ، يذكرني هو بان المكواة ستنام

استطردت :
- نعم .. القطة نامت مع امها ..
نينة ..

اخذ يردد :
- نينة .. القطة .. (نينة) ..
بدأت مخاوفه تتبدد ، وسرعان ما
استكن آمننا مطمئنا ، ثم استغرقه النوم ،
فأطبقت جفونه .

* * *

طفلي يتشبث بالاشياء التي يمسك بها ،
يعبث بمحتوياتها . وسدى تضع محاولاتنا
لتناول هذه الاشياء من بين قبضتيه . لعبه



كالقطة وبدأ طفلي يزاول نشاطا من نوع جديد . . .

كلما صادف شيئا من محتويات البيت في غير مكانه ، فانه يعيده الى المكان المعتاد ، مدعيا انه لا بد لهذا الشيء ان ينام مثل قطته .

المقشة يعيدها الى مكانها . العروسة الدمية يضعها في مكانها على المنضد ، ويغلق عينيها الزرقاوين . كرسىه الصغير يعيده الى ركنه المعروف .

يعيد طفلي ترتيب ما تناثر من محتويات الشقة . كل الاشياء لا بد ان تستقر في امكانها ، لتنام مثل قطته . وكثيرا ما يسألني . مشيرا ناحية الباب :
- القطة . . القطة . .

حين ترد على خاطره ، ولا يسمع

مواءها . كانه يسألني عن سر اختفائها . ثم يجيب هو على تساؤله :

- القطة . . مشت . . نامت . .
(نيّة) . . القطة . .

وباتت حكاية النوم ، مهربا لنا ، لتبرير اخفاء اي شيء عن ناظريه . وكلما لاحت القطة السوداء ، يهرع اليها ملتاعا ، محتما بصدري او بصدر امه ، فنسارع بطردها من امام باب الشقة ، وغلق الباب ، قائلين له :

- مشت القطة . . الى امها . . لتنام في حضنها . .

واذا ما لاحت قطته البيضاء ، تبش اساريه ، فيهرع اليها ، ويهشها بيده الصغيرة ، وقد يلمس الشعر الابيض الناعم الجميل .

